
هيئة كتابة التاريخ
نوابغ
الفكر العربي
موسى بن نصير
د . عبد الواحد ذنون طه

وزارة الثقافة والاعلام



بغداد ١٩٨٩



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

ميئة كتابة التأريخ

سلسلة نوابغ الفكر العربي

موسى بن نصير

د. / عبد الواحد ذنون طه

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٨

مقدمة

موسى بن نصير ، تابعي جليل ، وعلم من الاعلام ، وقائد فذ من خيرة مشاهير العرب . سيرته تاريخ حافل بالكفاح والطموح ، وحياته مثال للعربي المسلم الغيـور في أوج عظمتـه ونبوغـه . برز في عصر ابتدأت فيه الدولة العربية الاسلامية بالظهور كقوة فعالة في تـاريخ العالم القديم المعروف في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميـلاديـين ، فلم يلبث ان أصبـح من الرجـال الذين يشـار اليهم بالبنان . تولى مسؤولية حماية الجناح الغربي للدولة ، فقام بمهمته على خير مايرام ، وزاد بأن حرر الأندلس ، وأضافهـا الى حضيرة العرب والاسلام .

حظي هذا القائد بالعديد من الدراسات التي تناولت مختلف نواحي حياتـه ، لاسيما ادارتـه الحازمـة ، وماقـام به من فتـوح وانجازات رفعت من شأن الدولة الاموية ، كما تناقل الرواة والكتّاب القدماء أخباره ، حتى غدت في بعض المظان أشبه ماتكون بالأساطير . ومن يطلع على سيرة هذا القائد ، وماحققه في حقبة زمنية محدودة ، يلتمس العذر لهؤلاء المؤرخين على اعجابهم بـه ، ونسبة الخـوارق والاساطير اليه ، فكل ماكتب عنـه في الماضي ، ومـا سيكتب عنه في المستقبل لايمكن أن يفيه حقه من التقدير والاجلال . ولعل من أروع الدراسات الحديثة التي حاولت تحقيق هـذا الهدف ، هي دراسـة الدكتور ابراهيم أحمـد العدوي ، التي صـدرت قبل نحـو عشرين عاماً ، فكانت بحق رائدة في هذا السبيل ، حيث جمع المؤلف في كتابه بين الحقيقة التاريخية ، والاسلوب البليغ القدير على تحليل شخصية القائد موسى ، وابراز تفانيه في خدمة العروبة والاسلام . ولقد أفادت دراستنا هذه من تجربة الدكتور العدوي ، وأضافت بان اعتمـدت

توثيق الروايات في مواردها الأصلية ، والرجوع الى الكتب والبحوث التي ظهرت حديثاً ، بعد الاهتمام المتزايد في دراسة تاريخ المغـرب والأندلس .

لقد تحرينا في الكتابة عن موسى والبحث في سيرته أن نلم بكل جوانب حياته ، والظروف السياسية التي رافقت نشأتـه وولايته . ولهذا فقد تضمن هذا الكتاب معلومات عن العصر الذي عاش فيه ، ذلك العصر الذي يُعد بحق عصر القادة العظام . فتم تناول نشـأة موسى وايـام مـا قبـل ولاتيـه في الفـصـل الاول . ونـوقشـت في الفصـل الاول الذي يبحث في اختيار موسى لولاية افريقية ، أهمية هـذه الولاية ، والاسباب الموجبة لاختياره . أما الفصل الثالث ، فقد كُرّس لانجازات موسى العسكرية والادارية في جبهـة المغرب . كمـا خُصّص الفصل الرابع لانجازاته على صعيد فتح الانـدلس . واخيراً تم في الفصـل الخامس بحث عودة موسى الى المشرق ، وتقويم موقف الخلافة منه . وذلك عـلى وفق منهج علمي مـوثق ، واسلوب بسيط ، ليسهـل على القارىء تتبع هذه الاحداث بيسر وسهولة .

اننا أحوج مانكون في هذه الظروف الى الاطلاع على سيرة هذا القائد البطل ، الذي كتب بانتصـاراته المظفرة أروع صفحـة من صفحات هذه الامة ، في القيادة ، والادارة ، والتخطيط العسكـري الناجح ، ورفع اسمها عاليا بين الامم ، فكان بحق علما من اعلامها الذين يذكرهم التاريخ باجلال واكبار ، ويقدر فيهم ماقدموه لامتهم من عز ورفعة شأن . وفي الختام نرجو ان نكون قد وفّقنا في الوفاء لهذا القـائد الفـاتح ، الذي يعـد مفخرة من مفـاخر التـاريـخ العـربي الاسلامي ، والله من وراء القصد .

د. عبد الواحد ذنون طه

الموصل في ١٧/١٠/١٩٨٨

الفصل الأول

عصر القادة العظام

نشأة موسى بن نصير

وأيام ماقبل الولاية

عصر القادة العظام

شهد الربع الأخير من القرن الأول الهجري حركة متميزة في نطاق حروب التحرير العربية الاسلامية ، شملت ابعاداً مكانية تمتد الى أقصى المشرق والمغرب من العالم المعروف آنذاك . ولقد بذل الأمويون جهوداً قيمة في توسيع رقعة الدولة على كل الجبهات ، وكانت محاولاتهم هذه في الواقع استكمالاً لما تم انجازه في عهد الخلفاء الراشدين ، حيث وضعت الاسس الاولى للدولة العربية الاسلامية ، التي أسهم في بنائها قادة من الطراز الأول ، أنجبتهم هذه الأمة ، ليكونوا اعلاماً في مجال القيادة العسكرية والادارة . ويأتي في مقدمة هؤلاء القادة الذين تميزوا في عهد الراشدين ، سعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والمثنى بن حارثة الشيباني ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم ممن حملوا مشاعل التفوق العربي ، ومبادىء الدين الاسلامي ، وحرروا المناطق العربية التي كانت ترزح تحت نير الفرس الساسانيين ، والروم البيزنطيين .

وهكذا وضع سعد بن أبي وقاص في القادسية ، وخالد بن الوليد في اليرموك ، وعمروبن العاص في وادي النيل ، اللبنات الاولى لمراكز الانطلاق التالية ، المتمثلة بالعراق ، وبلاد الشام ، ومصر . فأصبحت الامصار التي أنشأت في هذه الاماكن المحررة قاعدة صلبة لعمليات مستقبليه اخرى ، تهدف الى شد ساعد الدولة العربية الجديدة . وتوسيع رقعتها الى أقصى مايمكن في المشرق والمغرب . واستمر جيل القادة الأوائل في تمهيد الطريق لظهور رجال آخرين من الطراز نفسه . فبرز الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقتيبة بن مسلم

الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، ويزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، الذين كان لهم دور فعال في جبهة الفتوح الشرقية . ولمع اسم مسلمة بن عبد الملك بن مروان في مقارعة الروم البيزنطيين في الجبهة الشمالية . وفي الوقت نفسه تميز عقبة بن نافع الفهري ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان الغساني ، وموسى بن نصير اللخمي ، وطارق بن زياد ، في الجناح الغربي من الدولة العربية ، حيث كان لهم الأثر الحميد في تحرير المغرب ، وافتتاح الأندلس .

ولم يكن ظهور امثال هؤلاء القادة ، أو تجمعهم في هذا العصر محض صدفة ، بل كان امتداداً لما دأبت عليه الدولة العربية الاسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، في اختيار القادة الذين تناط بهم مسؤولية ادارة العمليات العسكرية ، سواء أكان ذلك لحماية أمن وحدود الدولة وتوسيع رقعتها الخارجية ، عن طريق نشر مبادىء الاسلام ، أم للقضاء على الفتن والاخطار الداخلية التي كانت تقوم في بعض الاحيان ، وتهدد وحدة وسلامة الأمة . وكانت هناك أسس ثابتة وقويمة يستند اليها الرسول والخلفاء الراشدون في اختيار القادة ، وهي تقوم على مبادىء الفروسية العربية التي ثبتت اصولها وقواعدها وتقاليدها على مر العصور ، فكان على القائد ان يتمتع بصفات عديدة ، منها الفكر الجوال الثاقب ، والشجاعة ، وعدم المبالاة بالموت ، والصبر والاقدام ، والبسالة ، والصلابة في الرأي والجسم ، وسرعة اتخاذ القرار ، وتحديد الغاية ، معتمداً على فراسة قوية ، وبديهة حاضرة[1] .

أدرك العرب أهمية هذه الصفات في احراز النصر ونجاح المعارك التي يخوضونها ، اذ مهما توفرت عوامل النصر الاخرى من

تسليح وتدريب وتنظيم لجيش من الجيوش ، فقد يضيع ذلك كله اذا لم يتوفر القائد الكفء ، وقد قيل بان جيشاً ضعيفاً عليه قائد قوي خير من جيش قوي يقوده قائد ضعيف[٢] . ولقد روعيت هذه الشروط جميعاً في اختيار القادة ، فكانت النتيجة تلك الانتصارات الرائعة التي حققها العرب المسلمون على صعيد تحرير العراق وبلاد الشام ومصر في عهد الراشدين ، وكان قادة هذه الفتوح مثالاً يحتذى به لمن جاء بعدهم في العصر الاموي ، حيث تميز قادته ايضاً بمستوى رفيع من الكفاءة والقابلية في ادارة المعارك ، لأن الأمويين توخوا ايضاً الصفات نفسها التي كانت مطلوبة في قادة الراشدين ، فكانوا يتحرون من له القابلية على تحمل المسؤولية ، ويتصف بالحزم ورسوخ العقيدة والثقة بالنفس . فقد اراد معاوية بن أبي سفيان أن يولي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد احدى الصوائف في الجبهة الشمالية لقتال البيزنطيين ، فلما كتب عهده بذلك قال له : « ماتصنع بعهدي ياعبد الرحمن ، قال : اتخذه اماما ولا أعصيه قال : أردد عليّ عهدي » ، ثم أرسل في طلب قائد آخر ، هو سفيان بن عوف الغامدي ، فكتب عهده ثم قال : « ياسفيان ماتصنع بعهدي قال : أتخذه اماما ماأم الحرم فإذا خالفه خالفته ، فقال معاوية : هذا والله الذي لايكفكف من عجلة ولايدفع في ظهره من بطاء »[٣] .

وكتب الخليفة عبد الملك بن مروان معنفاً عامل البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد حين سمع بقيام الأخير بعزل المهلب بن أبي صُفرة عن قتال الخوارج سنة ٧٢هـ / ٦٩١م ، وتعيينه على خراج الاحواز ، واستخدام أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد مكانه ، فهزمه الخوارج هزيمة منكرة ، فقال : « أما بعد فقد قدم رسولك في

كتابك تعلمني فيه بعثتك اخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هُزم وقتل من قُتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني انه عامل لك على الاحواز ، فقبح الله رأيك حين تبعث اخاك على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابنائها ... فإذا انت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضر المهلب وتستشيره فيه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله »[٤] .

وهكذا كان يفعل معظم الخلفاء الأمويين ، سواء منهم الذين عاصرهم موسى بن نصير ، أو الذين حكموا بعد وفاته ، حيث كانوا جميعا يحرصون على توفر أفضل الصفات فيمن يتولى مناصب القيادة ، فحينما أراد هشام بن عبد الملك ان يختار رجلاً لولاية خراسان سنة ١٢٠هـ / ٧٣٨م استشار أصحابه في ذلك ، فذكروا له عدة أشخاص رفضهم جميعاً لاتصافهم ببعض الصفات التي لاتتلاءم في نظره مع منصب القيادة والولاية ، ، كالعظمة ، والتيه ، والعصبية ، ثم اختار في آخر الأمر نصر بن سيار لحزمه وتجربته وسداد رأيه وعفته ، وحينما قيل للخليفة أن نصراً لاعشيرة له في خراسان ، لم يعبأ بذلك ، وقال : « أنا عشيرته »[٥] .

ولم يكتف الخلفاء في العصر الأموي بالتحري والتحقيق في اختيار القادة ، بل كانوا يلاحقونهم بتعليماتهم ونصائحهم ووصاياهم التي تدل على تأصل قيم العروبة والعقيدة الاسلامية في نفوسهم . فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى والي خراسان ، الجراح بن عبد الله الحكمي يقول : « انه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيشاً أو سرية قال : بسم الله وفي سبيل

الله تقاتلون من كفر بالله ، لاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا امرأة ولا وليدا ، فإذا بعثت جيشاً أو سرية فمرهم بذلك »[٦] . وكتب ايضا الى قائده عبد الرحمن بن نعيم القشيري في خراسان يدعوه الى غرس قيم العقيدة الاسلامية السمحاء التي تدعو الى العدل والرحمة والانسانية في نفوس الجند[٧] .

وكان مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الامويين ، يتقن اختيار القادة الجيدين ، لاسيما انه كان قائداً من الطراز الأول ، فقد توفرت له عناصر القيادة في أبهى صورها ، وأتم معانيها ، من حيث الشجاعة ، والصبر على القتال ، وقوة الأعصاب ، والتخطيط العسكري المرن ، الذي يناسب جو كل معركة . فلا غرابة والأمر هكذا ، ان ربح مروان بن محمد أربعين معركة خاضها في حياته ، قبل أن يخسر في معركة الزاب مع قوات الثورة العباسية[٨] ، وكان هذا الخليفة القائد يعرف مدى تأثير شخصية قائد الجيش في جنده ، لذلك كان يُشرف على اختيار القادة ، ويأمر ولاته بتنحية غير الأكفاء منهم ، مثال ذلك انه أرسل الى عامله على العراق ، يزيد بن عمر بن هبيرة ، يأمره بالتحرك الى خراسان لنجدة نصر بن سيار ، فعبأ ابن هبيرة جيشاً وضع ابنه داود على قيادته ، وعندما علم مروان بذلك ، كتب الى ابن هبيرة ينكر عليه هذا العمل نظراً لحداثة سن القائد وقلة خبرته ، وأمره بحل عقدة لوائه ، وتعيين عامر بن ضبارة المري قائداً للجيش[٩]

كما جاء في وصية الخليفة مروان بن محمد الى ابنه عبد الله تعليمات قيمة تدل على مدى تشبع القواد العرب بروح العقيدة ، وقيم الفروسية ، فقد كتب الى ابنه يقول :

«فولِّ امر عسكرك أوثق قوادك عندك آمنهم نصيحة وأنفذهم

بصيرة في طاعتك وأقواهم شكيمة في أمرك . وأمضاهم صريمة وأصدقهم عفافاً ، وأجزاهم غناء ، وأكفأهم أمانة ، وأصحهم ضميراً ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً ، وأعطفهم على جماعتهم رأفة ، وأحسنهم لهم مظهراً ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ، ثم فوض اليه مقوياً له ، وأبسط من أمله ، مظهراً عنه الرضى حامداً منه الابتلاء ، وليكن عالماً بمراكز الجنود بصيراً بتقدم المنازل ، مجربا ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة له نباهة وصيت في الولاية ، معروف البيت مشهور الحسب »[١٠] .

هذه هي الصفات التي كانت مطلوبة في القادة الذين يتولون قيادة الجيوش العربية ، وهذا هو العصر الذي عاش فيه موسى بن نصير ، عصر القادة العظام ، الذين تميزوا في صفاتهم وانجازاتهم العسكرية الرائعة التي تم تحقيقها في العصر الاموي . وتدل أحداث العصر على ترابط وثيق في الوصول الى الأهداف المرسومة لنشر الاسلام والحضارة العربية في كل المناطق التي يمكن الوصول اليها في المشرق والمغرب . ولهذا فإن اسم موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، يأتي دائماً مترادفاً مع اسم قتيبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، حيث حقق القائدان الأخيران أعظم الانجازات العسكرية في جبهة المشرق ، في الوقت الذي كان فيه كل من موسى وطارق يعملان على ترسيخ دعائم العروبة والاسلام في المغرب والأندلس. فهؤلاء جميعاً هم من جملة المشاهير العرب، الذين تفخر بهم هذه الامة ، وتكرمهم باحياء التراث العطر الذي اسهموا في خلقه وبنائه ، ليكون مفخرة للأجيال على مدى العصور التالية .

نشأة موسى بن نصير وأيام ماقبل الولاية

اختلفت الآراء في الأصل الصحيح لموسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد ، فقد قيل أنه من لخم ، وقيل من بكر بن وائل . ويشير أحد المؤرخين الى أن زيداً جده كان من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام[11] ، ويقال بان أباه نصيراً كان اسمه نصراً فصغره ، وكان من بين سبايا عين التمر الذين سباهم القائد خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة هجرية ، حيث وجد خالد أربعين غلاما ، منهم سيرين أبو محمد بن سيرين ، ونصير والد موسى ، وغيرهما ، فأخذوا جميعاً أسرى . وقد أسلم نصير بعد الأسر ، ثم انتقل الى الحجاز ، ودخل في قبيلة لخم اليمنية ، وقد تزوج نصير منهم ، ولهذا فإن نسبته الى لخم كانت بسبب اتصاله بهم عن طريق الزواج . ويؤكد هذا ايضاً ماورد في كتاب أخبار مجموعة ، حيث يشير مؤلفه الى ان موسى كان صهراً لحبيب اللخمي ، والد أيوب بن حبيب ، الذي تولى الاندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى[12].

ويبدو ان اقرب الروايات الى الواقع في أصل موسى بن نصير هي مايورده كل من ابن الكلبي والواقدي اللذين يشيران الى انه ينتمي الى أراشة من قبيلة بليّ العربية[13] أما نسبة موسى الى بكر بن وائل فسببها الغلط الواقع في عدّ أراشة من هذه العشيرة[14] ، ولكن من المؤكد ، كما يذكر ابن حزم الأندلسي ، ان أراشة تعود الى عشيرة بليّ العربية ، التي تنتمي الى قبائل قضاعة وليس الى بكر بن وائل[15].

رحل نصير الى بلاد الشام ، حيث التحق بخدمة معاوية بن أبي سفيان ايام امارته على هذه البلاد ، وقد تدرج في المناصب حتى أصبح قائداً لحرس الأمير . وكان نصير شخصية قوية التأثير ، نال

منزلة كبيرة عند معاوية ، وحظي باحترامه .

تربى موسى بن نصير في اجواء عربية إسلامية ، حيث ولد في السنة ١٩هـ / ٦٤٠م في احدى قرى جبل الجليل من بلاد الشام المعروفة باسم كفر مُثرى[١٦] ، التي ترد عند البلاذري غلطاً باسم كفر مري ، وهو تصحيف واضح[١٧] ، ونشأ الفتى موسى في بيت له صلة مباشرة بالحياة العسكرية والقيادة ، التي كان يمارسها والده في كنف معاوية بن أبي سفيان . فكان لهذه البيئة اثر واضح في حياته كقائد وانسان[١٨] ، ولكن هذه البيئة العسكرية لم تشغل موسى عن طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه ، وقرب هذا العصر من عصر النبوة ، وانتشار الثقافة العربية الاسلامية الجديدة المتمثلة بدراسة وتفسير القرآن الكريم ، وجمع الاحاديث النبوية الشريفة . وقد أتاحت هذه الحركة لموسى بن نصير ان يقف على سيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وما أثر عنه من نشاط في مجال التخطيط العسكري والمعارك الناجحة التي قام بها في اثناء حياته من اجل نشر العقيدة الاسلامية . فاختلط موسى بكثير من الصحابة ، وأخذ عنهم الأحاديث النبوية وهو يُعد من جملة التابعين الذين أعقبوا الصحابة ، لكنهم لم يشاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتقوا به ، بل قاموا بالنقل عن الصحابة .

وعُرف عن موسى بن نصير انه روى الحديث الشريف عن تميم الداري ، وهو من الصحابة الكرام ، اعتنق الاسلام في السنة التاسعة للهجرة ، واشتهر بكثرة التعبد وملازمة الرسول في حياته . وقد بلغ موسى بن نصير درجة عالية في العلم ورواية الحديث عن الرسول ، فأصبح هو بدوره مصدراً للتابعين الآخرين ، وتابعي

التابعين ، يروون عنه الاحاديث والسُنّة النبوية الشريفة . وكان من أشهر هؤلاء الذين أخذوا عنه يزيد بن مسروق اليحصبي . وابنه عبد العزيز بن موسى[19].

وهكذا خلّد موسى بن نصير اسمه في سلسلة الاسناد الخاصة برواية الحديث ، والاسهام في دعم وتنمية دراسات الحديث في صدر الاسلام . وكانت هذه التربية الدينية التي شب عليها موسى منذ نعومة أظفاره السبب في حياة الورع والتقوى ومخافة الله التي تأصلت في نفسه طيلة حياته ، ولازمته في كل خطواته وأعماله ، واستطاع بفضلها ان يكسب احترام معاصريه ومرؤوسيه في كل المجالات التي عمل فيها ، وكل الأماكن التي وصل اليها . ويشير أحد المؤرخين المسلمين الى ان موسى « قد جمع من خلال الخير ماأعانه سبحانه به على مابنى له من المجد المشيّد ، والذكر الشهير المخلّد ، الذي لايبليه الليل والنهار ، ولايعفي جديده بلي الاعصار »[20]. وملخص القول ، كان موسى بن نصير عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً الى الله تعالى ، فاكتسب احدى المؤهلات المطلوبة للوصول الى مركز القيادة ، وهي التقوى ومخافة الله[21].

عاش موسى بن نصير في وسط عربي خالص ، فنمت فيه ملكات العربي الأصيل من حيث البلاغة والقدرة على التعبير وحلاوة اللسان ، وقد وصفه المؤرخ الأندلسي ابن حيان بانه « كان عربياً فصيحاً »[22] ، وقد زادته الأيام فصاحة وقدرة لكثرة الممارسات اليومية ، والخطب التي كان يلقيها على جنوده ، ومراسلاته مع الامراء والخلفاء ، والمناقشات السياسية ، التي كانت تتطلب مهارة فائقة في استخدام اللغة ، والتعابير العربية المؤثرة . ويبدو أن موسى

بلغ مرحلة متقدمة جداً في هـذا المجال حتى أصبـح يعد من جملة المتفوقين وكبـار الادباء والشعـراء في عصره ، حيث وصف بهـذه العبارة الرصينة الوافية التي تعبر عن معارفه الأدبية ، فيقول المقري في مجال الحديث عن هذه المعارف « وأما الأدبية فقد جاءت عنه بلاغة في النثر والنظم تدخله مع نزارتها في أصحاب در الكلام »[٢٢] . وسنرى في الفصول اللاحقة من خلال تعامل موسى وخـطبه ورسـائله مدى صدق هذه الروايات ، وواقعيتها التي تشير الى هذه الملكـة الأدبية التي اكتسبها بفضل نباهته واهتمامه بعلوم عصـره ، وتفاعله مـع بيئته العربية التي كانت مركزاً مهماً للثقافة والآداب .

وأذا عدنا الى مقومات تربية موسى العسكرية والسياسية ، نجد أيضاً تفوقاً بارزاً ، نظراً الى حياته التي قضاهـا في بلاد الشـام ، واحتكاكه المباشر مع الأحداث في أواخر العصر الراشدي ، وبدايـة العصر الاموي . فقد كان ، وهو ابن رئيس حرس معاوية ، مطلعاً على مجريات الامور السياسية ، كما كان يشاهـد ايضاً الاستعـدادات الخاصة بالحملات العسكرية ، والصوائف المتوجهة الى قتال الروم البيزنطيين في البر والبحر . وقد أثار اهتمام موسى بشكل خاص تلك الحملات البحرية التي قام بها معاوية بن أبي سفيان عـلى جزيـرة قبرص ، التي كانت قاعدة بحرية قوية للبيزنطيـين ، يشنّون منهـا حملاتهم على بلاد الشام ، ويهددون أمن سكانها المسلمين . وقد قاد معاوية ، وهو والٍ على بلاد الشام حملة على جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ / ٦٤٨م ، واتفق مع سكانها على أن يقفوا على الحياد في الحرب بين المسلمين والبيزنطيين ، وأن يؤدوا لهم جزية مقدارهـا سبعة الآف دينار ، وألاّ يساعدوا البيزنطيين أو يقدموا لهم معلومات من شأنها أن

تضر المسلمين . وقد كُررت هذه الحملة سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣م نظراً الى نقض أهل الجزيرة للصلح مع المسلمين[٢٤].

كان موسى بن نصير في حدود الرابعة عشرة من عمره يوم خرج معاوية في حملته البحرية الثانية على جزيرة قبرص ، وشاهد استعدادات البلاد البحرية ، وأدرك أهمية هذه السياسة الجديدة التي تبناها معاوية ، ووافق عليها الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، بعد تردد شديد ، نظراً الى اصرار الخليفة السابق ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على رفض الدخول في معارك بحرية ، أو حمل جيوش المسلمين في البحر خوفاً عليهم من مخاطره وأهواله . وكانت سياسة معاوية هذه صائبة جداً ، لأنه أدرك ان البزنطيين اذا ماتركوا أقوياء في البحر ، فإنهم في النهاية سيعملون على إجلاء العرب من بلاد الشام ، اعتماداً على افتقار الجيوش العربية الى الخبرة في حرب البحار ، وعدم وجود اساطيل عربية تصد غارات الاعداء[٢٥] ، وعاش موسى بن نصير أفراح النصر الذي نتج عن صد البيزنطيين ومنعهم من الاستيلاء على جزيرة قبرص ، كما سمع بعد مدة وجيزة جداً اخبار الانتصار الهائل الذي سجلته الاساطيل العربية المشتركة الجديدة بين مصر وبلاد الشام سنة ٣٤ هـ/ ٦٥٤م على اسطول البيزنطيين في معركة ذات الصواري المشهورة ، التي حققت للعرب الانتقال من دور الدفاع البحري الى الهجوم ، والتوسع في البحر المتوسط ، ودفع شر السفن البيزنطية عن شواطىء بلاد الشام ومصر[٢٦] .

ولما شب موسى بن نصير لم يقتصر دوره في هذه الأحداث على المراقبة عن كثب ، أو تلقي اخبار النصر والابتهاج بها ، بل كان من

حسن حظه أن أسهم بنفسه فيها ، وحقق أهداف السياسة العربية الاسلامية في تنفيذ الخطط البحرية لحماية بلاد الشام ومصر . وأصبح موسى بعد تولي معاوية بن أبي سفيان للخلافة عام ٤١هـ/٦٦١م أحد أمراء البحار الذين أنيطت بهم حماية السواحل العربية لبلاد الشام ، ومهاجمة القواعد البيزنطية في شرق البحر المتوسط ، فقد تولى قيادة العمليات البحرية ، حيث قاد حملة بحرية على قبرص ، وبنى هناك حصونا مثل (الماغوصة) و (بانس) ، وغيرهما من الحصون الاخرى ، وأصبح نائباً للخليفة على هذه الجزيرة[٢٧] .

ويبدو أن مكانة والد موسى العالية لدى معاوية واخلاصه له ، هي التي جعلته يعتز بابنه موسى ، ويتوسم فيه كل الصفات التي تؤهله للقيادة . واذا ماعرفنا بان الخليفة معاوية لم يكن يولي مثل هذه المناصب ، لاسيما قيادة الحملات البحرية إلا للمقربين من البيت الأموي ، المشهود لهم بالجرأة ، والشجاعة والاقدام ، لأدركنا مقدار ماكان يتمتع به موسى بن نصير من مؤهلات معروفة في بداية حياته العملية . دفعت الخليفة الاموي الأول الى اختياره والاعتماد عليه في الدفاع عن اراضي الدولة العربية الاسلامية الجديدة ، وحماية مياهها والبحار التي تطل عليها ، ومما لاشك فيه ، ان هذه التجربة الاولى التي خاضها موسى بن نصير في مجال القيادة ، ونجح فيها بتفوق ، قد أهلته في المستقبل لتولي مناصب مشابهة ، واكسبته خبرات بحرية ، استطاع ان ينال بها امجاداً رائعة في الشمال الافريقي والأندلس .

لاتتوفر لدينا معلومات عن المدة التي استمر فيها موسى في منصبه الجديد نائباً للخليفة على جزيرة قبرص ، أو عن مناصبه

الاخرى التي تولاها في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد الأول ، ولكننا نقرأ عن موسى انه دخل في معركة السياسة الداخلية ، التي اعقبت وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م ، وشهد موسى في آخر هذه السنة معركة مرج راهط مع الضحاك ابن قيس الفهري ، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الأمويين بقيادة مروان بن الحكم ، ومقتل الضحاك بن قيس[٢٨] ، ولا ندري ما السبب الذي دفع موسى بن نصير الى ترك الأمويين ، والانضمام الى صفوف منافسيهم في هذه المعركة ، ويرجع جهلنا لهذا الأمر الى عدم توفر المعلومات عن هذه المدة من حياة موسى بن نصير ، كما أشرنا الى ذلك سابقاً . وعلى أية حال ، رجع موسى بعد هذه المعركة الى صف الفرع المرواني للأمويين ، والتجأ الى عبد العزيز بن مروان[٢٩] الذي احتضنه ، نظراً الى ما يتمتع به موسى من مواهب يمكن ان تستفيد منها الدولة في وضعها الجديد بقيادة مروان بن الحكم .

إستبشر موسى خيراً بهذه العلاقة الجديدة التي قامت بينه وبين عبد العزيز بن مروان ، والتي هيأت له الطريق لتولي مناصب قيادية كبرى في خدمة الدولة الأموية . وقد رافق موسى بن نصير مروان بن الحكم ، وابنه عبد العزيز في الحملة على مصر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م ، حيث تم اقرار الأمر هناك تماماً لصالح المروانيين بعد ان كانت قد خضعت لمدة قصيرة لحكم عبد الله بن الزبير . وبعد أن أقام مروان بن الحكم مدة شهرين في مصر ، جعل ولايتها الى ابنه عبد العزيز ، وترك معه اخاه بشر بن مروان ليؤنسه ، وموسى بن نصير ليكون له وزيراً ومشيراً . وكان عبد العزيز قد تخوف من هذه الولاية دون ان يكون معه معاونون من بني أبيه ، فقال مخاطبا اباه : « يا

أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي . فقال له مروان : يابني عُمّهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقاً تصفُ لك مودتهم ، وأوقع الى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره وينقاد قومه اليك ، وقد جعلت معك اخاك بشراً مؤنساً ، وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً ، وما عليك يابني ان تكون اميراً بأقصى الأرض ذلك أحسن من اغلاق بابك وخمولك في منزلك »[٢٠] .

مكث موسى عدة سنوات في مصر ، ولكن تطور الاحداث في المشرق استدعى نقله الى العراق ، حيث كان الخليفة عبد الملك بن مروان مهتماً جداً بمحاولة تثبيت السلطة الأموية فيه ، لهذا فقد تقرر تعيين بشر بن مروان واليا على العراق سنة ٧٤ هـ/٦٩٣م ، فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز بن مروان وهو في مصر ، وبشر معه ، وكان يومئذ حديث السن : « إني قد وليت أخاك بشراً البصرة ، فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً ، وقد بعثت اليك بديوان العراق ، فادفعه الى موسى ، واعلمه أنه المأخوذ بكل خلل وتقصير ، فشخص بشر من مصر الى العراق ، ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة ، فلما نزلها دفع الى موسى خاتمه ، وتخلى عن جميع العمل ....»[٢١] . ويدل اختيار موسى بن نصير لهذا المنصب الخطير ، الذي يتضمن الاشراف على الخراج ، على مدى الثقة الكبيرة التي نالها موسى لدى الاسرة الاموية عامة ، والخليفة بشكل خاص ، كذلك فإن مبادرة الامير بشر بن مروان في توكيله بهذه المهمة ، ودفع خاتمه اليه تشير الى أهمية موسى وكفاءته التي رشحته لهذا العمل ، الذي لايتولاه الا من كان له خبرة واسعة في هذا المجال .

ولكن وفاة بشر الفجائية سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م ، وتولي الحجاج ابن يوسف الثقفي لولاية العراق ، غيرت مجرى الاحداث بالنسبة الى موسى بن نصير ، حيث تشير بعض المصادر الى اتهام الحجاج له بالتقصير في جمع الخراج ، وسوء استعمال الاموال والتصرف بها لصالحه الخاص . وطلب الحجاج بن يوسف من الخليفة عبد الملك الموافقة للقبض عليه ، ولكن موسى علم بالأمر قبل وصول الحجاج ، وذلك عن طريق أحد اصدقائه في دمشق ، فغادر العراق الى بلاد الشام ، ومن حسن حظه كان الامير عبد العزيز بن مروان قد جاء الى دمشق في ذلك الوقت بأموال مصر ، فاستجار به موسى ، وطلب اليه ان يساعده في مقابلة الخليفة ، ليشرح له وجهة نظره في موضوع الاتهام ، ومع ذلك لم يغفر عبد الملك بن مروان لموسى ، وفرض عليه غرامة مالية كبيرة تقدر بمائة الف دينار ، ساعده الامير عبد العزيز بدفع نصفها ، قُسِّط عليه الباقي في ثلاثة أشهر[٢٢].

إن اجماع المصادر على هذه الرواية ، لاسيما محاسبة الخليفة عبد الملك لموسى ، لايتيح للمرء مجالاً في رفضها أو الطعن بصحتها . ويبدو أن الخليفة شعر فعلاً بوجود نقص في الخراج ، والمسؤول عن ذلك بطبيعة الحال هو موسى بن نصير ، لكن بقي لنا أن نتساءل هل ان موسى هو الذي احتجز الاموال لنفسه ، كما تصفه بعض المصادر ، أم أن النقص كان نتيجة لظروف وعوامل طبيعية قاهرة مرت بالبلاد ، كقلة سقوط الامطار مثلاً ، وعدم تمكن الفلاحين من دفع ماعليهم من الخراج بصورة كاملة ، كذلك هناك احتمال تصرف الامير بشر بن مروان ببعض هذه الأموال ، فلما توفي ، وقع حساب ذلك كله على موسى بن نصير وحده[٢٣] . إن استقامة موسى ، وتدينه ، وأخلاقه التي

أشرنا اليها سابقاً ، لاتسمح له باحتجاز الاموال ، أو التصرف بها دون معـرفة وعلم الدولة ، فهـو لم يكن من أولئـك الرجـال الذين لايقدرون المسؤولية ولايحرصـون على الامـانة ، لاسيمـا وان هذا الحادث جاء في وقت كان فيه موسى مايزال في بداية حياته العملية ، وانه اكتسب ثقة وحب الخليفة واخوته من الامراء الأمويين ، ولولا علم عبد العزيز بن مروان بهذه الحقيقة ، وببراءة موسى ، لما وقف الى جانبه ، ودافع عنه ، وساعده على تحمل الغرامة التي فرضها الخليفة عليه ، فقد كانت مكانة موسى في نظره أعظم من ذلك بكثير[٢٤] ، ولم يغير هذه النظرة عنه الى نهاية حياته . ومن الناحية الاخرى ، فقد استمر موسى في علاقاته الجيدة مع عبد العزيز ، وواصل تقـديم خدمـاته المخلصة له طيلة حياته .

اصطحب عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير معه الى مصر سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤م ، فأصبح هناك ساعده الأيمن ، وكان من أشرف الناس عنده . ولاتشير المصادر الى طبيعة المهمات التي كان يتولاها موسى في هذه الحقبة ، ولكن من المحتمل أنه استمر في عمله الأول الذي مارسه منذ زيارته الاولى لمصر ، وهو مساعدة الامير في مهامه ، والقيام بدور المشير والوزير . وقد أهلته السنوات التي قضاها في هذه المدة للاطلاع على الاحداث التي تخص مصر والشمال الأفريقي بشكـل عام ، الأمر الذي جعله خبيراً في هذه الشؤون ، مما أدى الى تفكير عبد العزيـز بن مروان في إنـاطة شؤون ولايـة افريقيـة به ، بعـد الانتكاسات العديدة التي رافقت السياسة العربية فيها في عهد الولاة السابقين ، وبتولي موسى بن نصير ولاية أفريقية يبدأ عهد جديد في حياته ، يتميز باعمال المجد والبطولات ، واستكمال تحرير المغـرب

العربي ، الذي عانى العرب الكثير في سبيل تخليصه من القوى البيزنطية ، والعناصر المحلية الاخرى المتحالفة معها .

هوامش الفصل الأول

١ ـ حازم ابراهيم العارف ، الجيش العربي الاسلامي في التخطيط السوقي للرسول (ص) والخلفاء الراشدين ـ نظرة عصرية ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ص٧٣ فما بعدها ؛ وانظر : حازم عبد القهار الراوي ، الصبر والاقدام عند العرب ، مطبعة الراية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٥٧ ـ ٧٠ .

٢ ـ انظر : خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، بغداد ، ، ١٩٨٤ ، ص٢٠٧ .

٣ ـ الزبير بن بكار ، الاخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي مكي العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ؛ وانظر : الجنابي ، المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

٤ ـ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ : ٨٢٥/٢ .

٥ ـ المصدر نفسه : ١٦٦٠/٢ ـ ١٦٦٣ .

٦ ـ احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ : ١٦٧/٦ .

٧ ـ الطبري : ١٣٥٧/٢ ، ١٣٧١ ـ ١٣٧٢ .

٨ ـ انظر : فاروق عمر ، الخليفة المقاتل مروان بن محمد ، دار واسط للنشر ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٩ .

٩ ـ احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ : ٣٤١/٢ ؛ وانظر : القاضي سعدي ابو حبيب ، مروان بن محمد واسباب سقوط الدولة الأموية ، دار لسان العرب ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص٨٧ .

١٠ ـ عبد الحميد الكاتب ، رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد ، منشورة في كتاب رسائل البلغاء ، باعتناء : محمد كرد علي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ، وانظر : الجنابي ، المرجع السابق ، ص٢٢٠ .

١١ ـ ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، كتاب الصلة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ : ٢/٤٩٩ .

١٢ ـ مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة ، نشر : لافوينتي القنطرة ، مدريد ، ١٨٦٧ ، ص ٣٠ .

١٣ ـ احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (برواية ابن الكلبي والواقدي) ، فتوح البلدان ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٦٦ ، ص ٢٣٠ ، ٢٤٧ .

١٤ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ : ابو بكر محمد بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٣٣٥ .

١٥ ـ علي بن أحمد بن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤٤٢ .

١٦ ـ المصدر نفسه : ٥/٣٢٩ : وانظر : ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ : ٤/٤٧١ .

١٧ ـ فتوح البلدان ، ص ٢٣٠

١٨ ـ قارن : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٣ .

١٩ ـ عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، اشراف مكتبة المعارف ، بيروت ، ومكتبة النصر ، الرياض ، ١٩٦٦ : ٩/٧٧٤ .

٢٠ ـ انظر رواية الحجاري عند احمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ! ١/٢٨٦

٢١ ـ انظر : ابراهيم العدوي ، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي ، سلسلة اعلام العرب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ١٦ .

٢٢ ـ برواية المقري ، نفح الطيب : ١/٢٨٥ .

٢٣ ـ المصدر نفسه : ١/٢٨٦ .

٢٤ ـ الطبري : ١/٢٨١٩ ـ ٢٨٣٦ : عز الدين علي بن ابي الكرم ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ : ٣/٩٥ ـ ٩٦ .

٢٥ ـ العدوي ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

٢٦ انظر : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، نشر : شارلس توري ، نيوهيفن ، ١٩٢٢ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ؛ الطبري : ١/٢٨٦٧ ومابعدها ، ٢٩٢٧ ؛ وقارن : العدوي ، المرجع السابق ، ص٢١ .

٢٧ ـ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٩/١٧١

٢٨ ـ ابن الأثير : ٤/١٤٩ ـ ١٥٠ .

٢٩ ـ ابن كثير ، البداية والنهاية : ٩/١٧١ .

٣٠ ـ ابو عمر محمد بن يوسف الكندي ، كتاب الولاة والقضاة ، تهذيب : رفن كست ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص٤٧ .

٣١ ـ كتاب الامامة والسياسة المنسوب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : طه محمد الريني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ : ٢/٤٨ .

٣٢ ـ المصدر نفسه : ٢/٤٩ ؛ وقارن : ابو العباس محمد بن احمد بن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، نشر : كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨ ، اعادت دار الثقافة نشره في بيروت : ٢/٣٩ ـ ٤٠

٣٣ ـ قارن : خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، ص ٢٢٦ .

٣٤ ـ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ .

الفصل الثاني

اختيار موسى بن نصير لولاية افريقية

١ـ أهمية ولاية افريقية

٢ ـ الأسباب الموجبة لاختياره



١ ـ أهمية ولاية أفريقية :

بعد ان انجز العرب فتح مصر عـام ٢٢ هـ/٦٤٢م ، أدركوا ضرورة الحفاظ على ماحققوه فيها ، وذلك عن طريق تأمين سلامتها من كل خطر محتمل . وكانت قوة البيزنطيين البحرية ، ووجودهم في الشمـال الأفريقي من أهم الاخـطار التي تهدد الوجـود العربي في مصر ، لهذا اتجهت انظار القائد عمرو بن العاص ، فاتح مصر ، الى السيطرة على المناطق الساحلية الممتدة باتجاه منطقة ليبيا الحالية ، فقاد حملة برية سيطرت على برقة وبعض المناطق الاخرى القريبـة منها ، ولكنه اضطر الى العودة الى مصر لتأمين الأوضاع العسكرية فيها .

إن محـاولة عمرو بن العـاص هذه ، تُعـد من المحاولات الرائدة الاولى في السياسة العربية ازاء شمال افريقيا ، وقـد تفهم الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، هذه السياسة وأدرك ضرورة تحرير هذه المنطقة ، فكلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي تولى مصر سنة ٢٥ هـ/٦٤٥م بقيادة حملة عـربية الى شمال افريقيا ، بلغ مجموع الرجـال الذين اسهموا فيهـا اكثر من عشـرة الآف رجـل[١] ، وقـد التحمت هـذه الحملة بجيش الحـاكم البيزنطي جرجير Gregorg في معـركة فـاصلة في (عقوبـا) قرب سبيطلة ، التي تقع على بعد مائة واثني عشر كيلومتراً ، جنوب غرب القيروان الحالية ، حيث هزم البيزنطيون ، وقتل جرجير ، لكن العرب لم يستثمروا نصرهم هذا ، واكتفى قائدهم بقبول فدية كبيـرة من المهزومين ، ثم رجع الى مصر .

كانت الظروف التي أدت بالقائد عبد الله بن سعد الى الرجوع تتلخص في الخشية من قوة البيزنطيين الكبيرة في البحر ، ومن حصونهم القوية على السواحل ، لاسيما حصن قرطاج ، وقد أدرك ابن أبي سرح بان جيشه لايكفي لاخضاع هذه الحصون ، وانه يحتاج الى قوة بحرية عربية لهذا الغرض ، الأمر الذي لم يكن متوفراً في ذلك الوقت المبكر .

توقفت الحملات العسكرية على شمال افريقيا لمدة من الزمن ، لكنها عادت سنة ٤٥ هـ/ ٦٦٥م حينما أرسل معاوية بن حديج السكوني من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان لتولي حملة جديدة ، وقد استطاع ابن حديج ان يحقق بعض الانجازات العسكرية ، ويسيطر على بعض المدن والحصون البيزنطية ، لكنه انسحب ايضا الى مصر دون أن يحاول الاستفادة من هذه الانتصارات . فكانت حملته هذه لاتختلف عن حملة ابن ابي سرح ، التي سبقته بسنوات عديدة[٢] .

ونظرا لصعوبة التوصل الى تحقيق نتائج ايجابية في الشمال الافريقي ، أدرك العرب ان سياسة الحملات المؤقتة ، لايمكن أن تنفع في تحرير المغرب العربي ، ولابد من تنفيذ سياسة عسكرية اخرى ، تهدف الى الفتح المنظم والاستقرار الدائم للجنود الفاتحين في المناطق المحررة ، وهكذا فقد تم اختيار القائد عقبة بن نافع الفهري لتنفيذ هذه المهمة الجديدة ، وكان اختيار هذا القائد يعود بالدرجة الاولى الى كفاءته ومقدرته ، فقد قضى وقتاً طويلا في شمال افريقيا بعد أن دخل مصر لاول مرة مع عمرو بن العاص ، ولهذا فقد غدا عارفاً بالمنطقة وخبيراً محنكاً في مسائلها العسكرية . لقد أدرك عقبة من

خبرته الطويلة في شمال افريقيا ، أهمية الحاجة الى وجود العرب الدائمي في المنطقة ، والاّ سوف يستفيد الاعداء من اي انسحاب عربي ليتمردوا عليهم ، وفي الوقت نفسه ، فإن تأسيس مدينة لضم الحامية العسكرية العربية ، سوف يضمن سلامة الجند العربي ، وسيطرته على المنطقة ، والقضاء على اية حركة معادية[٣].

ولهذا فقد تقرر القيام بانشاء مدينة القيروان لتكون قاعدة عسكرية تنطلق منها الفتوح الجديدة ، ومركزا لنشر الدين الاسلامي بين السكان المحليين . واستغرقت عملية بناء المدينة مايقرب من خمس سنوات ، وانجزت في السنة ٥٥ هـ/ ٦٧٥م[٤] ، وقد استفاد من هذه القاعدة القائد الذي اعقب عقبة على ولاية افريقية ، وهو ابو المهاجر دينار ، الذي انطلق في حملات جديدة من القيروان ، ومما جاورها من حصون ، فسجل انتصارات جيدة على البيزنطيين ، لاسيما في قرطاج ، كذلك استطاع بواسطة احدى حملاته التي امتدت الى تلمسان في غربي الجزائر الحالية ، ان يستميل اليه احد كبار القادة المحليين المدعو كسيلة بن لمزم ، حيث وفر له شروطاً ممتازة للصلح ، وعامل اتباعه معاملة مساوية لتلك التي كان يُعامل بها العرب[٥] ، وهذا الأمر على درجة كبيرة من الأهمية ، لأنه يشير الى سياسة ابي المهاجر الرامية الى زيادة عملية التمازج بين العرب والسكان المحليين ، وهي السياسة نفسها التي تبناها الولاة الذين أعقبوه ، لاسيما حسان بن النعمان الغساني ، وموسى بن نصير .

وفي السنة ٦٢ هـ/ ٦٨١ م أعادت الخلافة الأموية تعيين عقبة ابن نافع على ولاية افريقية ، وفي هذه المرة ، قاد هذا البطل العربي الكبير ، حملة برية كبرى عبر المغرب العربي ، ابتدأها اولاً بالمرور من

باغاية الواقعة الى الشمال من جبال الاوراس ، ثم سار باتجاه الزاب ، الذي كان جزءاً من مقاطعة نوميديا ، ثم وصل الى طنجة حيث التقى بالحاكم البيزنطي جوليان ، الذي أظهر الود والمسالمة معه ، وقدم اليه الهدايا ، ونصحه بالاتجاه الى الجنوب الغربي ، اي الى بلاد السوس الأدنى ، والسوس الاقصى ، والتقدم لقتال السكان المحليين الوثنيين من قبائل مصمودة وصنهاجة . ووصل عقبة بعد ذلك الى وادي درعا ، ووادي السوس ، واخيراً الى سواحل المحيط الأطلسي في منطقة تقع قرب مدينة اغادير الحالية ، ثم عاد وقطع وادي نهر ام الربيع ، ودخل في المغرب الأوسط ، يريد الرجوع الى القيروان ، لكنه استشهد على يد بعض السكان المحليين بالقرب من قلعة تهودا المجاورة لجبال الاوراس[٦] . ويبدو ان هذا الزحف المدهش لعقبة لم يكن سوى عرض للقوة من اجل تجنيد السكان المحليين ، ونشر الاسلام بينهم ، دون ان يصحب ذلك خطة واضحة للفتح المنظم المستمر ، لذلك لم تتحقق نتيجة لهذا الجهد العسكري اية مكتسبات ايجابية في سبيل الحفاظ على ولاية افريقية ، وتثبيت السلطة العربية فيها ، بل على العكس ، فقد كان على العرب ان يتركوا كل الولاية ، وان يخلوا القيروان ذاتها نتيجة لاستشهاد عقبة وصحبه في تهودا[٧] .

خرجت القيروان لمدة أربع سنوات تقريباً عن سلطة الدولة العربية الاسلامية من (٦٥ ـ ٦٩ هـ / ٦٨٤ ـ ٦٨٨م) ، سيطر خلالها كسيلة بن لمزم ، الذي ارتد عن الاسلام ، على المدينة ومايحيط بها ، بينما كان البيزنطيون يهيمنون بشكل فعال على الشاطىء . وقد انشغلت الخلافة الاموية في هذا الوقت بالذات بمشاكل داخلية ، لاسيما مسألة مطالبة ابن الزبير بالخلافة ، ومع هذا فقد أدرك

الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية شمال افريقيا ، وضرورة استعادة القيروان ، ولذلك فقد عين زهير بن قيس البلوي والياً جديداً على افريقية في سنة ٦٩ هـ/٦٨٨م ، من اجل ان يكمل سياسة عقبة بن نافع ، ويعيد افتتاح ماخسره العرب هناك[٨].

وعلى الرغم من انتصار زهير بن قيس على كسيلة بن لمزم ، واستعادته للقيروان ، لكنه لم يستطع ان يعيد السلطة العربية الكاملة الى المنطقة ، وقد اضطر الى محاربة البيزنطيين في برقة ، حيث استشهد مع مجموعة من جنده في سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م[٩] . وبعد أستشهاد زهير ، شعر الخليفة عبد الملك بن مروان ، بان تحرير المغرب العربي لايمكن ان يتم طالما ظل البيزنطيون يسيطرون على مواقع حصينة على الساحل ، ولهذا ، وبعد ان تمكن عبد الملك من حسم أمر عبد الله بن الزبير ، أولى اهتمامه هذه المسالة الجوهرية ، وأرسل سنة ٧٤ هـ/ ٦٩٤م جيشاً عربياً كبيراً يضم نحو أربعين الف رجل ، معظمهم من جند الشام ، وعهد بقيادته الى حسان بن النعمان الغساني ، وقد ظل هذا الجيش في مصر على أهبة الاستعداد حتى عاد الاستقرار الى مشرق الدولة العربية ، حينئذٍ تحرك الى شمال افريقيا سنة ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م[١٠].

ومنذ هذه المرحلة أصبح موسى بن نصير على تماس مباشر بالأحداث في شمال افريقيا ، ولاشك في انه لعب دوراً كبيراً في وضع الترتيبات اللازمة لحملة حسان حين كانت تنتظر في مصر ، لانه كان الساعد الأيمن والمشير والوزير لعبد العزيز بن مروان . وقد وصلت الاخبار الى مصر تحمل بشرى انتصار حسان بن النعمان على البيزنطيين في قرطاج ، حيث هوجمت وافتتحت من قبل القوات

العربية المرافقة له[11] ، ولكن هذه الحملة اصيبت بنكسة قوية اثر اصطدامها بقبيلة جراوة ، التي كانت تربطها علاقات وثيقة مع البيزنطيين ، فانهزم حسان بجنده الى طرابلس ، وقد استشهد وأسر الكثير من العرب في هذه المعركة ، حيث تبعهم الاعداء حتى قابس[12] ، واتبعت زعيمة هذه القبيلة ، المعروفة بالكاهنة ، سياسة الدمار والخراب الشامل في شمال افريقيا ، لاسيما في مناطق الأرياف ، حتى لايبقى ، في زعمها ، للعرب اية رغبة في العودة ثانية الى البلاد ، ولكن هذه السياسة جلبت نقمة السكان المحليين على رأس الكاهنة ، ولقد كان تذمرهم شديداً الى الحد الذي دعاهم الى مطالبة العرب بالرجوع الى البلاد ، وأبدوا استعدادهم لمساعدتهم في حربهم المقبلة مع الكاهنة[13].

ظل حسان مايقارب الخمس سنوات في منطقة طرابلس قرب صرت ، في مكان أصبح يدعى (قصور حسان) . وعندما جاءته الامدادات من مصر ابتدأ بالتحضير لحملته الثانية على شمال افريقيا ، وفي هذه المرة سارت الامور لصالح العرب ، ونال حسان تأييد العدد الكبير من السكان المحليين ، وحتى الكاهنة نفسها لم تكن متأكدة من نتيجة اللقاء مع العرب الى حد أنها ، وكما يروى ، أوعزت الى ابنائها بالقتال الى جانب العرب ، ولكنها قاتلت حساناً هي واتباعها بالقرب من قابس ، حيث اندحرت وهربت ، ثم قتلت اخيراً في جبال الاوراس في مكان أصبح يدعى فيما بعد ببئر الكاهنة .[14] وبعد هذا الانتصار عاد حسان الى القيروان سنة ٨٢ هـ/٧٠١ م ، ثم زحف الى قرطاج وأعاد افتتاحها ، بعد ان كان البيزنطيون قد استولوا عليها سنة ٧٨هـ / ٦٩٧ م نتيجة لانسحاب العرب الى طرابلس .

حاول حسان بن النعمان ان يكسب السكان المحليين الى جانب العرب ، فعمل على زيادة الاختلاط والاندماج بينهم وبين العـرب ، ولهذا ، فبعد أن أنهى مقاومة الكاهنة ، عـرض على بقيـة السكان شـروطاً ممتازة للصلح ، ووجـه اهتمامـه الى نشر الاسـلام بينهم بواسطة ارساله للدعاة والوفود الى مختلف المناطق ، فدخل الكثـير منهم الى الاسـلام ، وتم تجنيد اثني عشر الف رجـل من السكـان المحليين في الجيش العربي الاسلامي ، بقيادة ابني الكاهنة ، ولقد فُرض لهؤلاء العطاء ، وكذلك مُنحوا نصيباً مساويا لما يأخذه مقاتلو العـرب من الغنائم في الفتـوح اللاحقـة . ونـظم حسـان الديـوان والضـرائب التي تفرض عـلى اهـل الذمـة الذين فضلوا البقـاء في افريقية(١٥) .

أثمرت هذه السياسة التي اتبعها حسان في شمال افريقيا في الوصول الى استقرار نسبي في الداخل ، كذلك حاول أن يقلل من خطر البيزنطيين في البحر ، فعمل على البدء بانشاء دار لصناعة السفن في تونس ، واستعان ببعض الاسر القبطية ، التي جيء بهـا من مصر للمساعدة في مهمة بناء الاسطول العربي في شمال افريقيا ، ومع ذلك فإن الامور في المغرب العربي كانت بحاجة الى المزيـد من الخبرة ، والقيـادة التي يمكن ان تخلق الاستقرار المنشـود ، وكـانت بعض المناطق في أرجاء الشمال الافريقي ماتزال تزخر بالعناصر المعـادية التي لم تستوعب أهداف العرب ، ورسالتهم السامية التي حملوها الى هذه البلاد ، وقد اعتقد الأمير عبد العزيز بن مروان ان القائد حسان ابن النعمـان قد استنفـد فعلاً كـل طاقته وجهـده في سبيـل خلق الاستقرار في ولاية افريقية وبقية اجزاء المغرب العربي ، وان البلاد

اصبحت بحاجة الى رجل جديد يمكن أن يأخذ بيدهـا الى التحريـر الكامل ، والسيـادة العربيـة ، ونشر مبادىء العـدل والسلام بـين سكانها المحليين .

٢ ـ الأسباب الموجبة لاختياره :

تشير بعض الروايات الى تردي العلاقة بين الامير عبد العزيز بن مروان ، والقائد حسان بن النعمان ، وان خلافاً نشب بينهما على برقة وطرابلس ، لان عبد العزيز لم يكن يرغب في تدخل حسان في شؤون هاتين المنطقتين ، فعين عليهما حاكماً مستقلاً ، الأمر الذي لم يوافق عليه حسان(١٦) ، ولكن من المرجح ان الخلاف بين الرجلين لم يكن بهذا الشكل ، وان الروايات قد غالت في تصوير العداء بينهما بعد ان عزل عبد العزيز بن مروان القائد حسان بن النعمان عن ولاية افريقية . كان عبد العزيز يرى ان المغرب العـربي أصبح بحـاجة الى خبـرة جديدة ، وسياسة شاملة ، لدعم واستقرار الانجـازات التي حققها حسان بن النعمان ، ويبدو أنه كان يرشح موسى بن نصير للقيام بهذا الدور الأساسي ، لاسيما ان السنوات العديدة التي قضاها موسى في مصر مطلعاً على احوال المغرب العربي ، قد أهلته لتعلم الكثير ، وتفهم طبيعة هذه البلاد ، فكان موسى في نظر عبد العزيز هو الرجل الجدير بتولي منصب ولاية افريقية ، فقد أتاح له كل أسباب القوة والنفوذ ، واشركه معه في الخطط الخاصة بميدان المغرب العربي ، ووضع تحت تصرفه ، كمشير ووزير ، كل ما في مصر من دواوين ومعلومات عن هذه الجبهة ، وعقد عليه الآمال الكبار في استقرار الأوضـاع نهائيـاً في شمال افريقيا .

إن الخبرات التي اكتسبها موسى بن نصير في مصر علمته بان الجهود العربية لانجاز تحرير المغرب العربي يجب ان تتجه اولاً وأخيراً نحو البيزنطيين الموجودين في شمال افريقيا وقواعدها ، لأنهم هم الذين وقفوا بالمرصاد لكل المحاولات العربية التي هدفت الى نشر العروبة والاسلام فيها ، وحرضوا السكان المحليين على التمرد ضد العرب ، وأوهموهم بفقدان مصالحهم في حالة انتصار الجيوش العربية على البيزنطيين . وكانت سياسة ولاة مصر منذ عمرو بن العاص ، والى عبد العزيز بن مروان ، تهدف اولاً وأخيراً الى كبح جماح قوة البيزنطيين ، من أجل استقرار الفتوح العربية في مصر وبقية انحاء شمال افريقيا . فقد كرس أولئك الولاة شطراً كبيراً من دخل البلاد لتزويد الحملات المتجهة الى الغرب بكل ماتحتاج اليه من عدة ورجال ، فضلاً عن امداد قادة تلك الجيوش بالخبرات والمعلومات الحربية المهمة ، وكان من الضروري على كل متجه الى جبهة المغرب العربي ان يقضي بعض الوقت في مصر ليتزود من مصادرها المادية ، ويستفيد من خبراتها التي تساعده على حرب البيزنطيين . وكان موسى ابن نصير من أوفر القادة في مصر حظاً في هذا المجال ، حيث قضى مدة طويلة نسبياً في مصر تقدر باكثر من عشر سنوات ، وهو يعمل في المساعدة على دعم الحملات ورسم السياسة الخاصة بالفتوح(١٧).

وقد ازدادت خبرة موسى بن نصير بشؤون المغرب العربي ايضاً نتيجة لالتقائه بكثير من رجالات مصر ، ممن سبق لهم الاشتراك في الحملات الحربية في المغرب العربي ، أو أسهموا في تدبير شؤونها ، وكانت مصر تزخر في تلك الايام التي عاش فيها موسى بن نصير بعدد كبير من المقاتلين العرب ، سواء ممن خاضوا بانفسهم غمار

الحروب ، أو ممن كانوا من أبناء القادة الذين استشهدوا على ارض المعركة ، وحفظوا عن آبائهم نماذج رائعة عن البطولة والشجاعة والجهاد في سبيل اعلاء راية العروبة والاسلام ، وكان على رأس هؤلاء ابناء القائد البطل عقبة بن نافع الفهري ، الذين سنراهم يواكبون مسيرة موسى بن نصير ويعملون بامرته حين توليه القيادة ، والعمل على استكمال تحرير المغرب العربي .

وعرف موسى من هؤلاء الرجال سبب تعثر الحملات العربية في شمال افريقيا ، واطلع على وجهات نظرهم المختلفة ، التي ساعدته دون شك على تبين معالم الطريق الصحيح في استكمال تحرير هذه البلاد وادارتها[١٨] . وقد جاءت حملة حسان بن النعمان بالدرس الاخير الذي استكمل به موسى معلوماته وخبراته عن المغرب العربي ، حيث تابع ، كما أسلفنا ، أخبار هذه الحملة ، وساعد في الاعداد لها منذ وصولها الى مصر حتى خروجها سنة ٧٦هـ / ٦٩٦ م ، وعرف كيف ان الفشل أصابها أول الأمر بسبب تشتت جهود قائدها بين البيزنطيين ، والسكان المحليين ، فاضطر للانسحاب الى طرابلس ، ولم يستطع أن يستأنف القتال الا بعد أن جاءته الامدادات من مصر مرة اخرى ، فتمكن من الانتصار ، وتحقيق الاستقرار النسبي في بعض ارجاء المغرب العربي ، وهنا جاء دور موسى بن نصير الذي استفاد من كل هذه الظروف والملابسات ، واطلع في نظرة شمولية على مختلف الممارسات التي تمت في سبيل التحرير ، فتوفرت له الكفاية الحربية ، والقدرات السياسية والادارية ، مما أتاح له الفرصة في تولي القيادة العامة للقوات العربية العاملة في المغرب العربي ، فأثبت بحق ، انه أهل لها ، وان اختيار الامير عبد العزيز بن مروان كان في

محله .

عُيّن موسى بن نصير رسميا على ولاية افريقية في أواخر السنة ٨٥هـ / ٧٠٤م من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان ، بعد أن عزل حسان بن النعمان الغساني . وقد استطاع عبد العزيز أن يقنع أخاه الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا الاختيار الذي تتطلبه الظروف الراهنة في الشمال الأفريقي ، فكتب اليه الخليفة بالموافقة قائلاً : « قد بلغ امير المؤمنين ماكان من رأيك في عزل حسان وتولية موسى . وقد أمضى لك امير المؤمنين ماكان من رأيك وولاية من وليت »[١٩].

وهكذا ابتدأ عهد جديد في المغرب العربي ، تميز بالبطولة ، والقيادة الحكيمة ، والانجازات الرائعة على صعيد التحرير ، ونشر الاسلام ، عهد تحققت فيه كل الاهداف التي رسمتها السياسة العربية في هذه المنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين الى الدولة الأموية ، تلك الأهداف التي حاول تنفيذها بشكل أو بآخر ، ولاة متعددون بذلوا أقصى جهدهم ، بل بذل بعضهم حياته في هذا السبيل . فكان الدور الذي لعبه موسى بن نصير خلاصة هذا الجهد الهائل ، وما قام به في هذا المجال هو الحلقة الأخيرة ، التي تم بموجبها استقرار المغرب العربي ، ودخوله ضمن السيادة الكاملة للدولة العربية الاسلامية .

هوامش الفصل الثاني

١ - راجع للتفصيلات : حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص٨٤ فما بعدها ؛ وقارن : عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، دار الرشيد ، بغداد - ميلانو ، ١٩٨٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

٢ - انظر : طه ، المرجع السابق ، ص١١٧ - ١١٨ .

٣ - ابن الأثير : ٣/٤٦٥ ؛ وانظر : نهلة شهاب أحمد ، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع الفهري ، رسالة ماجستير ، على الآلة الكاتبة ، باشراف : د. عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٨٧ ، ص ٩٢ ، ٩٥ .

٤ - الطبري : ٢/٩٣ - ٩٤ ؛ ابو بكر عبد الله المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ : ١/٧ ؛ ابن عذاري : ١/٢٠ -٢١ ؛ وانظر : محمد العروسي المطوي ، سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا-تونس ، ١٩٨١ ، ص ١٧ - ٢٠ .

٥ - المالكي : ١/٢١ ، ٢٥ - ٢٦ ؛ ابن عذاري : ١/٢٨ - ٢٩ .

٦ - ابن عبد الحكم ، ص١٩٨ - ٢٠٠ ؛ ابو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر : دي سلان ، الجزائر ، ١٨٥٧ ، ص ٧٤ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ؛ ابو اسحق ابراهيم الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٤٠ - ٤٦ ؛ المالكي : ١/٢٣ - ٢٥ .

٧ - ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ ؛ ابن الأثير : ٤/١٠٨ ؛ ابن عذاري : ١/٣١ ؛ وانظر : نهلة احمد ، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع الفهري ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

٨ - المالكي : ١/٣٠ ؛ ابن الأثير : ٤/١٠٨ ؛ ابن عذاري : ١/٣١ .

٩ - ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٢٢٩ ؛ المالكي : ١/٣٠ - ٣١ ؛ الرقيق ، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ ابن عذاري : ١/٣٣ .

١٠ - المصدر نفسه : ١/٣٤ ؛ احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، نشر : جاسبار راميرو ، غرناطة ، ١٩١٧ ، ق ٢ : ٢٢/١٩ .

١١ ـ ابن عبد الحكم . ص ٢٠٠ : المالكي ١/٣١ ـ ٣٢ : ابن عذاري ١/٣٥ .

١٢ ـ ابن عبد الحكم . ص ٢٠٠ : البلاذري . ص ٢٢٩ : البكري . ص ٧ ـ ٨ : الرقيق . ص ٥٦ ـ ٥٧ : ابن عذاري ١/٣٥ ـ ٣٦ .

١٣ ـ الرقيق . ص ٦١ : المالكي ١/٣٥ . ابن الاثير ٤/٣٧١ : ابن عذاري ١/٣٦ ـ ٣٧

١٤ ـ ابن عبد الحكم . ص ٢٠١ : الرقيق . ص ٦١ ـ ٦٤ : عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم . نص جديد عن فتح العرب للمغرب . تحقيق : ليفي بروفنسال . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد . العدد ٢ . ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

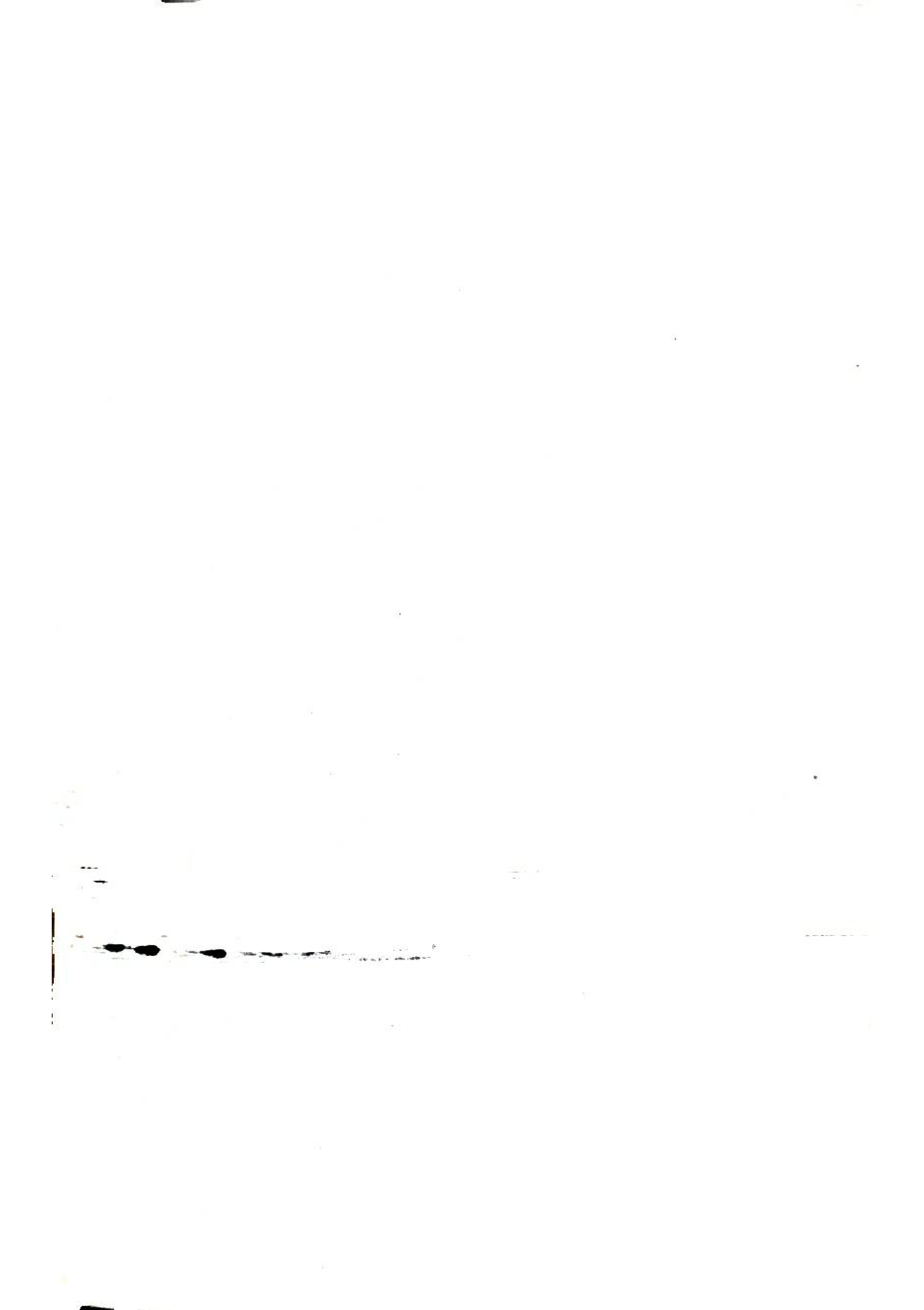
١٥ ـ ابن عبد الحكم . ص ٢٠١ : الرقيق . ص ٦٤ : المالكي : ١/٣٥ ـ ٣٦ : ابن عذاري ١/٣٨ : النويري . ق ٢ : ٢٢/٢١ : وانظر : محمد محمد زيتون . الفتح الاسلامي لشمال افريقيا . مجلة المؤرخ العربي . العدد ١٦ ، ١٩٨١ . ص ٨٩ ـ ٩٠ .

١٦ ـ خليفة بن خياط . تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق : اكرم ضياء العمري . النجف . ١٩٦٧ : ١/٢٧٦ : ابن عبد الحكم . ص ٢٠٣ : الكندي . ص ٥٢ : وقارن : مؤنس . فتح العرب للمغرب . ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ .

١٧ ـ انظر : العدوي . موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي . ص ٢٦ ـ ٢٨ .

١٨ ـ قارن : المرجع نفسه . ص ٢٩ .

١٩ ـ ابن عذاري : ١/٤٠ .



الفصل الثالث

انجازات موسى العسكرية والادارية

في جبهة المغرب

١ ـ استكمال تحرير المغربين :

الأوسط والاقصى

٢ ـ الحملات البحرية

٣ ـ الاعمال الادارية

١ ـ استكمال تحرير المغربين : الأوسط والأقصى :

غادر موسى بن نصير مصر بعد تعيينه متجهاً الى القيروان التي أصبحت مقر عمله الجديد ، بوصفها مركز ولاية أفريقية التي تشرف على كل الاعمال العسكرية والادارية للمغرب العربي ، وقد استهل ولايته بان جمع القوات المتوجهة معه الى المنطقة وألقى عليهم خطبة بليغة ، استعان بها في توضيح سياسته ، ومايـنوي ان يفعله في المستقبل ، ليكونوا على بينة من أمرهم ، وليطلعوا على الخطوط العريضة لسياسته معهم . فكان من جملة ماقاله بعد ان ذكر عزل حسان بن النعمان وتوليه هو بدلا منه من قبل الامير عبد العزيز بن مروان : « ... وانما أنا رجل كأحدكم ، فمن رأى مني حسنة ، فليحمد الله ، وليمض على مثلها ، ومن رأى مني سيئة فلينكرها ، فإني أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون ، وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها أثلاثاً ، فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا ، وله عندنا قضاؤها على ماعزوهان ، مع المواساة ان شاء الله ، ولا حول ولاقوة الا بالله »[١].

ولما وصل موسى الى افريقية ، وجد ان الأمن فيها غير مستتب ؛ بسبب رجوع حسان بن النعمان . ولم يستطع الرجل الذي تركه حسان ، واسمه صالح أو أبا صالح ، أن يسيطر على الوضع ، ويحفظ البلاد من الطامعين ، فعزله موسى ، وغرمه عشرة الآف دينار ، وأرسله مقيدا الى الخليفة عبد الملك ، ثم جمع الناس في القيروان ، وصعد المنبر في مسجدها الجامع ، وألقى عليهم خطبة ، عرفهم فيها بنفسه ، وبخططه في مواجهة الاعداء قائلاً :

« ايها الناس انما كان قبلي على افريقية أحد رجلين : مسالم

يحب العافية ، ويرضى بالدون من العطية ، ويكره أن يُكْلَمَ ، ويحب أن يسْلَم ، أو رجل ضعيف العقيدة ، قليل المعرفة ، راضٍ بالهونين ؛ وليس أخو الحرب الا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسَمتْ به همته ، ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دونِ ان يكْلم أو يُكْلَمَ ، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ، ولاعنف يقاسيه ، متوكلا في حزمه ، جازما في عزمه ، مستزيدا في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في احكام رايه ، متحنكاً بتجاربه ، ليس بالمتجابن إقحاماً ، ولا بالمتخاذل احجاماً ، إن ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وإن نُكِب أظهر جلادة وصبرا ، راجياً من الله حسن العاقبة . فذكر بها المؤمنين ، ورجاهم اياها لقول الله تعالى (إن العاقبة للمتقين) اي الحذرين . وبعد : فإن كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الاقصى ويترك عدوا منه أدنى ، ينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة ، ويكون عونا عليه عند النكبة ، وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين »[٢].

وتشير هذه الخطبة البليغة ، التي ان دلت على شيء فإنما تدل على مدى تمكن موسى بن نصير من ناصية اللغة والأدب والبيان ، الى عزمه وشدته ، وتصميمه على القيام بواجبه في الادارة والقيادة ، بشكل لم يسبقه اليه والٍ آخر من الذين تولوا هذا المنصب من قبل كما شرح في هذه الخطبة ايضا خطة جوهرية من خططه التي حاول تنفيذها لضمان استكمال التحرير ، واعادة الاستقرار الى البلاد ، وهي قتال العدو القريب اولًا لضمان تأمين سلامة جنده وحماية

ظهرهم ، حتى اذا انتهى أمره ، انتقل بالتدرج لقتال العدو البعيد ، وهذا على عكس ماكان يفعله معظم الولاة والقادة السابقين ، الذين كانوا يعمدون الى الاماكن القصية ، ويلاحقون الاعداء فيها ، تاركين خلفهم جيوبا خطرة للمقاومـة ، كانت في معـظم الاحيان السبب في نكبتهم ، وبالتالي تأخر انجاز الفتح العربي لشمال افريقيا . ولنا في حملة عقبة بن نافع المشهورة الى المغرب الأقصى ، ورجوعه ، ومن ثم استشهاده على يد عملاء البيزنطيين ، مثالٌ بليغ لشرح هذه الحالة التي أشار اليها موسى بن نصير في خطبته ، كذلك حدث الشيء نفسه للقائد حسان بن النعمان ، الذي لم يجنبه مصير عقبة بن نافـع ، سوى الامدادات الكثيرة التي تلقاهـا من مصر في حملته الثـانية ، فكانت اعماله عبارة عن كر وفر ، وهو الأمر الذي جعل والي مصر عبد العزيز بن مروان يعمل على تغييره ، وينيـط القيادة العليـا للقوات العربية العاملة في شمال افريقيا بالقائد موسى بن نصير .

لقد تجنب موسى بن نصير هذا الغلط الذي وقع فيه اسلافه ، وذلك بفضل الدراسة والاعداد الذي تلقاهما في مصر ، فكان من رأيه أولاً تأمين منطقة القيروان ، قاعدة الفتوح العربية ، لأن هذه المنطقة هي التي بث فيها البيزنطيون عملاءهم لافساد كل تقدم للعرب ينطلق منها الى سائر جهات المغرب العربي الاخرى ، وهذه هي منطقة ولاية « افريقية » التي تشمل اراضي جمهوريـة تونس الحـالية ، وبعض الاجزاء الغربية من ليبيا ، وبعض المناطق الشرقية من الجزائـر . ويعد هذا الجزء من المغرب العربي عصب الامتداد الشاسع لبلاد شمال افريقيـا كلها من حـدود مصر الغربيـة الى سواحـل المحيط الأطلسي ، فأرض افريقية هي الحلقة التي تربط بين برقة وطرابلس

شرقاً ، وبين الأقاليم التي اطلق عليها الجغرافيون والمؤرخون العرب اسم المغربين : الأوسط والأقصى ، لهذا فإن تثبيت اقدام المسلمين في « افريقية » معناه استقرار فتوح التحرير بصفة دائمة في سائر ارجاء شمال افريقيا ، لاسيما في المغربين الأوسط والاقصى »[٣]

اعتمد موسى بن نصير في تنفيذ عملياته العسكرية على مجموعة من القوات التي تتألف من المتطوعة ، ورجال القبائل العربية الذين رافقوه من مصر ، فضلاً عن القوة الرئيسة التي كانت موجودة فعلا في افريقية ، والتي كان قوامها الجند العربي ، والسكان المحليين الذين اعتنقوا الاسلام ، وأصبحوا جزءاً لايتجزأ من قواته العسكرية المهيأة للجهاد والفتوح . ولقد نظم موسى قواته تنظيماً رائعاً مستهدفا من وراء ذلك اشعار الاعداء بحزم الادارة العربية الجديدة ، واصرارها على نشر الطمأنينة والنظام في البلاد . ولقد كان موسى محظوظا في نيل تأييد كل القادة الموجودين في افريقية ، فشكل منهم ، ومن ابنائه ، ومن القادة الذين رافقوه هيئة عامة للقيادة ، توزعت عليهم اعباء النشاط الحربي الجديد . وكان أشهر هؤلاء القادة هم : اولاد عقبة بن نافع الفهري ، ابا عبيدة ، وعياض ، وعثمان ، وكذلك محمد بن أوس الأنصاري ، وسليمان بن أبي المهاجر دينار ، وعياش ابن أخيل ، والمغيرة بن أبي بردة ، وعبد الرحمن بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وابناء موسى الخمسة ، وهم : عبد الله ، ومروان ، وعبد العزيز ، وعبد الأعلى ، وعبد الملك ، بالاضافة الى نفر من اهل البلاد الاصليين ، الذين انضموا الى خدمة الجيش في الدولة العربية الاسلامية ، وأثبتوا كفاءة عالية ، من أمثال طارق بن زياد ، وزرعة بن أبي مدرك ، وغيرهما[٤] .

ابتدأ موسى بتنفيذ خطته العسكرية الجديدة بارسال حملة على منطقة جبل زغْوان ، وهي منطقة جبلية تقع بين تونس والقيروان ، على مسيرة يوم كامل من الأخيرة . وكان في هذه المنطقة جماعة من السكان المحليين الذين تعودوا التعامل مع البيزنطيين . ونظراً لقربهم من القيروان فقد شكلوا خطراً جسيماً على المسلمين في افريقية . حيث كانوا يغيرون عليهم ، ويرصدون حركـاتهم ، وينقلون اخبارهم الى حلفائهم البيزنطيين . واستطاعت القوة المكونة من خمسمائة فارس بقيادة أحد رجـال عشيرة خشـين المعروف بـ (عبـد الملك) ، أن تقاتلهم وتهزمهم هزيمة منكرة . وتقتل زعيمهم المسمى (ورقطان) ، وفي الوقت نفسه ارسل موسى بن نصير ابنه عبد الرحمن الى بعض نواحي القيروان ، حيث أخضع العناصر الخارجة عن الطاعة هناك ، كما سار ابنه الآخر ، وهو مروان بن موسى الى منطقة اخرى قريبة في ولاية افريقية ، فأنزل بالمـوالين للبيزنـطيين العقـاب ، وحملهم على احترام الادارة العربية الجديدة[٦].

تمت هذه العمليات بسرعة مـدهشة . نـظراً الى التنسيق والتوقيت الدقيق اللذين رافقاها ، وشعر المتمردون لأول مرة بقـوة الجيوش العربية ، واستعدادها لسحق اية بادرة للتمرد والعصيان ، وان عهد الفوضى والتعاون مع البيزنطيين قد انتهى الى الأبد ، وقد حرص موسى على مراقبة هؤلاء ومهاجمتهم على حين غرة كلما تطلب الأمر ذلك ، أو أحس منهم ميلاً الى العصيان . وواصل موسى بنفسه الخروج لتأديب هـذه القبائـل ليشعرهـا بقوة السلطة الجـديدة في القيروان . وقد أثمرت هذه السياسة الجـديدة في استتبـاب الأمن والنظام في منطقة القيروان ، بل في ولاية افريقية كلها ، وغدت هذه

القاعدة المهمة لأول مرة تنعم بالهدوء والاستقرار ، وابتعد أهلها عن البيزنطيين والتعاون معهم ، أو الاشتراك في دسائسهم ضد العرب[1] .

وكتب موسى بن نصير الى والي مصر عبد العزيز بن مروان يبشره بالفتوح الجديدة ، والانتصارات الباهرة التي حققتها الجيوش العربية في منطقة أفريقية ، ويخبره ايضاً بما افاء الله على المسلمين من غنائم وفيرة . وقد سر عبد العزيز سرورا عظيماً لهذه الاخبار ، التي تثبت صدق فراسته في موسى بن نصير ، وان قرار تعيينه كان قرارا حكيماً تطلبته ظروف ولاية افريقية في ذلك الوقت ، فبعث برسالة موسى الى الخليفة في دمشق ، مع كتاب قال فيه : « أما بعد : فاني كنت وانت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمتراهنين ، أرسلا فرسيهما الى غايتهما فأتيا معاً ، وقد مدّت الغاية لأحدهما ، ولك عنده مزيد ان شاء الله ، وقد جاءني يا أمير المؤمنين كتاب من موسى ، وقد وجهته اليك لتقرأه ، وتحمد الله عليه والسلام » ، وقد أجاب الخليفة أخاه بكتاب آخر ، أشار فيه الى تفهمه للمثل الذي ضربه عبد العزيز ، لكنه ألمح له الى فضل حسان السابق ، وان موسى قد انفرد الآن في ساحة السبق دون حسان ، لهذا فإن المفاضلة بين الاثنين غير قائمة ، حيث لايمكن ان يظهر فضل موسى الا اذا ظهر عجز حسان عن ادراك ما أدركه موسى . ولكن الخليفة سُرَّ دون شك بما أنجزه القائد الجديد من انتصارات ، وما حصل عليه من غنائم ، وأرسل رجلا الى افريقية ليتسلم الخمس الخاص بالخلافة ، الذي اشار اليه موسى في رسالته ، فلما قدم الرسول على موسى رفع اليه ماذكر من أموال ، وزاد ذلك الفاً للوفاء[2].

أثبتت الاحداث اللاحقة ان عبد العزيـز بن مروان كـان على صواب في اختياره لموسى ، وانه صدق حين قال للخليفة في رسالته اليه انه سيجد في موسى بن نصير المزيد من الفتح والانتصارات ان شاء الله ، فقد ركن موسى في هذه الحملات ، وفي الحملات التالية ايضاً على تطهير وتحرير مساحات شاسعة من شمال افريقيا ، وارسال حصة الخلافة من اموال ، وغنائم الى كل من والي مصر والخليفة في دمشق . ويبدو ان موسى كان يحاول ان يقنع الخليفة بقابليته كقائد عسكري قادر على استكمال تحرير ماعجز عنه القادة الآخرون ، وأنه ايضاً لايقل كفاءة وقدرة عن غيره ممن نالوا ثقة الخلافة ، لاسيما الحجاج ابن يوسف الثقفي والي العراق ، وانـه حاول ايضـا أن يخفف من الانطباع السيِّيء الذي تكون عنه لدى الخليفة بسبب ما اتهم به في البصرة قبل سنوات . ولقد كان من حسن حظه ان نجح في محاولته هذه نجاحا باهراً ، فأرضى كلا من عبد العزيز بن مروان ، والخليفة عبد الملك ، اللذين أبديا اعجابهما بحملاته الناجحة ، وكثرة ماحمله اليهما من أموال[٨].

بعد تأمين منطقة القيروان وماحولها ، كرس موسى بن نصير حملاته نحو المغرب الأوسط ، اي بلاد الجزائر الحالية ، فأرسل أحد قادته ، وهو عياش بن أخيل ، في ألف فارس ، فاستطاع أن يُدخل قبائل هوارة وزناتة في طاعة المسلمين ، وارسل الاسرى الى موسى ، الذي أرسلهم بدوره الى عبد العزيز بن مروان ، وكان عـلى رأسهم زعيم منهم يدعى (كامون) . وقد كان من سياسة موسى بن نصير معاملة القبائل الراغبة في الصلح معاملة حسنة ، لهذا فقد استجاب عياش بن أخيل الى رغبة بقية زعماء هذه القبائل في الصلح ، ورجع

بوجوههم الى موسى ، الذي أقرهم على ما في ايـديهم ، وترك تـدبير امورهم لأناس من أهلهم ، لكنه أصر على أخذ رهائن من تلك القبائل ضماناً لاحترامهم للعهود والمواثيق التي عقدوها معه ، وكـان لهذه السياسة نتائج قيمة في تاريخ الفتوح العربية في شمال افريقيا ، حيث اتاحت لجماعات عديدة من هذه القبائل أن تقيم وسط الجند العربي ، وتتعـرف على أهـدافهم الحقيقية ، وحيـاتهم اليوميـة ، والغـرض الاساس من توجههم الى الفتح ، وهو نشر الاسلام ، وحمل رسالة السماء السمحاء اليهم ، واخراج بلادهم من الظلمـات الى النور . وتشـير المصادر الى ان هـؤلاء الرهائن لم يكـونوا مسجـونين لدى العرب ، بل كانوا يمارسون حياتهم اليومية الاعتيادية بينهم ، وكان يُسمح لهم بالتمتع بحرية كاملة ، حتى انهم كانوا يخرجون الى الصيد خـارج معسكرات العـرب دون رقيب[٩] ، ونظراً الى هـذا الاختلاط الشديد ، فقد تبين لهؤلاء النفر من الرهائن كذب مـاتدعيـه ابواق البيزنطيين من دعايات مسمومة ضد العرب ، فصاروا عوناً لهم في الدعوة الى الدخول في الدين الاسلامي ، ومقاومة البيزنطيين ، لهذا كثر عدد الداخلين في الاسلام من أهل المغرب الأوسط ، وأصبحوا يكونون قوة جديدة تساعد الجيش العربي في مهمته المقدسة[١٠].

كذلك قدمت وفود قبائل كتامة على موسى بن نصير ، فعقد معهم الصلح وولى عليهم رجلا منهم ، وأخذ رهائنهم ، ولكن أحد رجالهم الطامعـين ، قتل الزعيم الذي ولاه مـوسى ، وكتب اليه بـذلك طالباً تأييده ، فشك موسى في نواياه ، وحسب ان في الأمر مكيدة من كتامة ، لهذا أرسل في طلب الرهائن الذين كانوا في رحلة صيد ، والقى القبض عليهم ، متهمـاً أهاليهم بـالتمرد ، فـالتمسوا منـه التـريث وعـدم

معاقبتهم ، والتحقيق في الأمر قائلين : « لاتعجل ايها الأمير بقتلنا حتى يتبين أمرنا ، فإن آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف ابدا ، ونحن في يدك وانت على البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل ...» ، فوافق على ذلك ، وخرج بنفسه الى قبائلهم ، فلما بلغ هؤلاء خروج موسى اليهم تلقاه وجوههم معتذرين عما حدث ، فقبل منهم ، وتبينت له براءتهم ، وعفا عن الرهائن[١١].

ويشير هذا الأمر الى مدى اهتمام موسى بقضايا السكان المحليين ، ومحاولته التحري عن كل مصادر الشك التي يمكن ان تؤدي الى زعزعة الاستقرار والاطمئنان في المناطق التي أصبحت تحت الادارة العربية ، كما يشير ايضا الى طبيعة الحرية الممنوحة للرهائن ، واستطاعتهم النقاش ، وتبادل الرأي مع الأمير ، على الرغم من خطورة الأمر الذي اتهمت به قبيلتهم ، واستعداد الأمير لسماع رأيهم وقبوله له تحريا للحقيقة ، وتجنباً من الوقوع في الغلط ، والتعرض لما لاتحمد عقباه من النتائج .

ومن القبائل الاخرى التي توجه اليها اهتمام موسى بن نصير ، قبيلة صنهاجة ، فقد نقل اليه عيونه الذين بثهم في مختلف نواحي شمال افريقيا ، تحركات هذه القبيلة ، واعمالها العدائية ، وان الفرصة قد أصبحت مؤاتية لاتخاذ اجراءات شديدة ازاءها ، فقاد اليها قوة عسكرية مؤلفة من أربعة الآف رجل من الجنود المسجلين في الديوان ، وألفين من المتطوعين ، واعداد اخرى من السكان المحليين ، وكان على مقدمة موسى عياض بن عقبة بن نافع الفهري ، وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة ، وعلى ميسرته زرعة بن أبي مدرك .
وقد فوجىء الاعداء بوصول موسى وجيشه اليهم ، فأخذوا على حين

غرة ، الأمر الذي أدى الى انتصاره عليهم ، وتحقيق مكاسب عسكرية ممتازة ، وغنائم وفيرة ؛ رجع بها الى القيروان[١٢].

وتُعد حملة موسى بن نصير على منطقة سجوما أو سقوما في المغرب الأوسط من اكبر حملاته في هذه المنطقة ، فقد تهيأ لهذه الحملة بعد أن جاءته نجدة من جند مصر بقيادة ابنه عبد الله . فاستخلف الأخير على القيروان ، ثم خرج هو في عشرة آلاف من المسلمين ، وعلى مقدمته عياض بن عقبة بن نافع ، وعلى ميمنته زرعة ابن أبي مدرك ، وعلى ميسرته المغيرة بن أبي بردة القرشي ، وعلى ساقته نجدة بن قسم ، وحمل اللواء ابنه مروان ، فسار حتى اذا كان بمكان يقال له ، سجن الملوك ، خلّف به الأثقال ، وتجرد في الخيول ، وخلّف على الأثقال عمرو بن أوس في ألف من الجند ، وسار بمن معه حتى وصل الى نهر الملوية ، فالتقى ببقايا الجماعات التي سبق ان تحالفت مع البيزنطيين ، وواجهت عقبة بن نافع الفهري في حملته الأخيرة على المغرب الأقصى ، وأنزلت به الهزيمة في قلعة تهودا ، وكان هؤلاء ينتمون بالدرجة الاولى الى قبيلة اوربة البرنسية ، وتتلخص غاية موسى من مهاجمة هؤلاء في انهاء المقاومة الحامية لهذه المجموعات التي ما انفكت تؤيد البيزنطيين ، كما كانت ايضا انتقاماً لمعركة تهودا التي استشهد فيها عقبة وأبو المهاجر على يد أفراد هذه القبيلة نفسها .

جرت بين الطرفين معركة حامية دامت ثلاثة ايام ، انهزم بعدها اهل سجوما ، وقُتل قادتهم ، وحصل الجيش العربي على آلاف الاسرى ، والغنائم الكثيرة . وقد قاتل المسلمون يومئذٍ قتالاً عنيفاً ، يقودهم موسى ، واركان حربه الذين أبلوا بلاءً حسناً ، وكانوا قدوة

لبقية الجنود . وتشير احدى الروايات الى استبسال زرعـة بن أبي مدرك ، قائد الميمنة ، الذي قاتل حتى اندقت ساقه ، فأمر موسى ان لايحمل إلا على رقاب الرجال ، حتى يدخل القيروان ، وكان يحمله كل يوم خمسون رجلاً يتعاقبون بينهم . ومن الجدير بالذكر ايضا في هذه الحملة ، سماح موسى بن نصير لأولاد عقبة بن نافع الذين كانوا معه ، وهم عياض ، وموسى ، وعثمان ، وابا عبيدة ، بالاقتصاص من قتلة والدهم ، بعد هزيمة اهل سجوما ، حيث قال لهم موسى : « اقتصوا من قتلة ابيكم » ، فقتلوا عـدداً من اولئك المسـؤولين عن مذبحـة تهودا ، لكن موسى مع ذلك لم يسمح لهم بالتمادي في هـذا الأمر ، والانسياق وراء الأخذ بثأر والدهم ، فطلب منهم التوقف حين أسرفوا قائلاً : « ارفعوا ايديكم » فكفوا ، ويقال ان عياض بن عقبة قال في تلك المنـاسبة : « أمـا والله لو تركني مـا أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف » تعبيراً عن شدة تأثره واستيائه من موقف هؤلاء الخياني ، الذي أدى الى استشهاد والده عقبة بن نافع[١٣].

بعد انجاز هذه الحملة ، عاد موسى بن نصير الى القيروان ، ليعد العدة لافتتاح المغرب الأقصى . وقد زف بشرى النصر الى عبد العزيز بن مروان رسول موسى المدعو علي بن رباح اللخمي ، الذي سار حتى قدم مصر ، فهنأ الأمير بما تحقق من انجازات في المغرب الأوسط ، فكافـأه عبد العـزيز ، وارسله الى الخليفـة عبد الملك بن مروان في دمشق فلما قدم عليه أجازه ايضا ، وزاد في عطائه عشرين دينارا ، وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه انه قد فرض لجميع أولاده في مائة دينار ، وبلغ به هو الى المائتين ، وفرض لخمسائه من مواليه ، وأهل الجزاء والبلاء ممن معه في ثلاثين دينارا ، كما كتب اليه ايضا

انه قد عفا عنه ، والغى الغرامة التي كان قد اغرمه اياها ، بعد اتهام الحجاج له في العراق ، وطلب اليه ان يستعيد تلك الغرامة ، ومقدارها مائة الف دينار ، من أموال الأخماس ، اي من حصة الدولة التي تصيبها من غنائم الحرب فلما قدم هذا الكتاب على موسى ، قال لقادته والناس المجتمعين عنده : « فإني اشهدكم أنه ردٌّ على المسلمين ، ومعونة لهم ، وفي الرقاب » ، اي انه رفض استرجاع المبلغ وخصصه لمعونة المسلمين ، وتحرير رقاب العبيد ، وهكذا ابتدأ موسى في شراء الرقيق ، لاسيما من ظن منهم انه يقبل الاسلام ويكون نافعاً له ، فيعرض عليه الاسلام ، فإن رضي به قبله بعد ان يختبر عقله وفطنته وفهمه ، فإن وجده ماهرا اعتقه وتولاه ، وان لم يجد فيه مهارة رده الى الخمس . ولم ينس موسى بن نصير رجاله الذين أبلوا في القتال ، فكتب الى عبد العزيز بن مروان ببلاء زرعة بن أبي مدرك ، وماجرى له نتيجة تحمسه واستبساله في القتال ، وأنه لولا ذلك لكان أوفده الى امير المؤمنين ، ففرض له عبد العزيز في مائة دينار ، وفرض لثلاثين رجلا من قومه .

بعد تأمين منطقة ولاية افريقية ، واستقرار الامور في المغرب الأوسط ، ابتدأ موسى بالتهيؤ لتحرير المغرب الأقصى ، وهي المناطق الواقعة بين نهر الملوية والمحيط الأطلسي[14] ، وتتصف هذه المناطق بان لها وجهين ، احدهما يطل على البحر المتوسط ، وهو المعروف ببلاد غمارة ، اي منطقة الريف ، والوجه الآخر يطل على المحيط الأطلسي ، وتكتنفه جبال درن ، اي جبال أطلس الحديثة . قد أطلق على هذه المناطق اسم السوس ، وهي بدورها تنقسم على قسمين : الاول ، ويشمل المناطق الواقعة خلف طنجة ، لاسيما وادي نهر سبو الذي

يكوّن منخفضاً في شمال البلاد أطلق عليه الكتاب العرب اسم السوس الأدنى ، تمييزاً له عن القسم الثاني ، وهو المنخفض الآخر الواقع في الجنوب الغربي للبلاد ، والذي يشقه وادي سوس ، الذي يصب في المحيط الأطلسي عند أغادير ، ويعرف بالسوس الاقصى ، وتضم هذه المنطقة الأخيرة ايضا كل الأقاليم التي تقع في جنوب المغرب الاقصى(١٥)

أرسل موسى حملتين الى هذه البلاد ، الاولى بقيادة ابنه مروان ، الذي توجه الى السوس الاقصى في خمسة الآف رجل ، والثانية بقيادة زرعة بن أبي مدرك ، لاخضاع القبائل المقيمة في جبال أطلس العليا ، وقد نجحت الحملتان نجاحاً باهرا ، فرجع مروان بعدد كبير من الاسرى والغنائم ، التي بالغت الروايات كثيرا في ذكر الارقام التي وصلت اليها(١٦) . أما ابن أبي مدرك ، فلم يلق حربا ، نظراً لاقبال الأهالي هناك على الدخول في الدين الاسلامي ، ولأن انتصارات موسى في افريقية ، والمغرب الأوسط ، جعلت سكان هذه المناطق يؤمنون بجدارة القيادة الجديدة ، وأنه لاجدوى من المقاومة والوقوف بوجهها ، فدخلوا طواعية في طاعة القائد زرعة بن أبي مدرك ، وقد اعلن قادة قبائل المصامدة عن خضوعهم ، وقدموا اليه رهائنهم ، كما قدمت القبائل الاخرى ايضا رهائنها ، لاسيما كتامة ، وزناتة ، وهوارة ، وبهذا تأكد دخول الاسلام في هذه المناطق التي وصل اليها العرب للمرة الثانية بعد عقبة بن نافع الفهري ، فرجع زرعة بن أبي مدرك الى موسى مع وجوه هذه القبائل ، حيث أمضى لهم موسى الصلح ، واعطاهم الأمان(١٧).

وهكذا أصبحت بلاد المغرب تدين بالطاعة لموسى بن نصير من صحراء درعا الى السوس الاقصى الى بلاد المصامدة ، ولم يبق امام

الجيوش العربية سوى بعض المدن الساحلية التي تطل على المضيق الذي يفصل بين قارتي افريقيا واوربا ، وكانت هذه المناطق تخضع لحاكم بيزنطي يدعى جوليان ، أو يوليان (Julian) ، وهو شخصية تختلف بشأنها الروايات العربية ، فهناك من يشير الى انه كان مسيحياً من قبيلة غمارة[١٨] ، واطلق عليه العديد من المؤرخين لقب « الرومي »[١٩] وهو مصطلح شامل يمكن ان يضم جنسيات متعددة ، حسب المنطقة التي يدور عنها الحديث ، كما تذكر غالبية المصادر انه كان من اصل قوطي ، وانه من اتباع ملك اسبانيا[٢٠] ، ولكن من الثابت ان القوط الغربيين فقدوا معظم ممتلكاتهم في شمال افريقيا أيام ملكهم ثيوديس Theudis (٥٣١ - ٥٤٨م) ، وظلت سبتة بايدي البيزنطيين منذ القرن السابع الميلادي ، ولايوجد مايشير الى وجود خلاف ذلك[٢١] ، ولهذا يمكن القول ان جوليان كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريتانيا الطنجية ، التي كانت تشمل الاقاليم الواقعة على ساحل المجاز أو المضيق الذي يؤدي الى الاندلس ، لاسيما مدينتي سبتة وطنجة وماحولهما ، ولكن بسبب ضغط الاحداث ، وبعد المسافة عن القسطنطينية ، اضطر جوليان لأن يعتمد على التعاون مع القوط الغربيين في اسبانيا[٢٢] ، وربما كانت تأتيه امدادات من اسبانيا ، لكن مشاكل القوط الغربيين الداخلية منعتهم من الاستمرار في مساعدته ، ومن المحتمل ان الحاكم الذي التقى به عقبة ابن نافع في طنجة قرب المضيق ، كان بيزنطيا ايضا ، ومن الجائز انه كان والد جوليان الذي كان يسيطر على المضيق حينما تقدمت قوات موسى اليه ، أو أنه جوليان نفسه ، في شبابه عندما تولى ادارة المنطقة لأول مرة .

ويبدو ان هذا الرجل كان سياسيا ماهرا يعمل جاهدا للمحافظه على استقلال الممتلكات التي يسيطر عليها ، وانه انتهج في سبيل ذلك سياسة المداراة ، وحسن الجوار مع جيرانه عبر المضيق في اسبانيا ، ومع السكان المحليين في داخل الولاية . وعندما جاء العرب الى المنطقة لاول مرة بقيادة عقبة بن نافع ، حاول الارتباط معهم بعلاقات الود والصداقة ، فراسل عقبة ، كما أشرنا الى ذلك في الفصل الثاني ، وقدم اليه الهدايا ، وسأله المسالمة ، وحينما تقدم موسى بن نصير باتجاه منطقة المضيق ، حاول هذا الحاكم التقرب اليه ، ولكن موسى استطاع ان يتغلب على مدينة طنجة ويفتتحها ، ويعد بذلك أول من نزلها من المسلمين ، واختط لهم فيها ، وجعلها مركزا وقاعدة للانطلاق الى العمق في الجهات المجاورة ، المعروفة ببلاد السوس الأدنى[٢٣] .وقد تمكن موسى بن نصير من الاستيلاء على هذه المناطق بسهولة ويسر ، لأن سكانها الأصليين فضلوا الدخول في الدين الاسلامي دون مقاومة ، وكانوا يتألفون من بطون مختلفة من البتر والبرانس ، وينتمون الى قبائل مختلفة ، لاسيما كتامة ، وهوارة ، وزناتة ، ومصمودة ، ولكن الغالبية كانوا يرجعون الى القبيلة الأخيرة ، لان هذه البلاد كانت موطنا خاصاً لمصمودة[٢٤] ،وقد أقر موسى زعماء هذه القبائل في الرئاسة ، مقابل مساهمة كل قبيلة بعدد كافٍ من المقاتلين للانضمام الى الجيش العربي الاسلامي .

وحد موسى هؤلاء الجنود الجدد مع جند قبيلة هوارة ، الذين جُنِّدوا في عهد سلفه حسان بن النعمان ، ووضعهم جميعاً في حامية مدينة طنجة ، تحت قيادة طارق بن زياد ، الذي عينه حاكماً لهذه المدينة ، وقائداً لحاميتها العسكرية في حدود سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م .

ويدل تعيين هذا القائد على مدى مايتمتع به موسى بن نصير من حكمة ، وكفاءة ادارية عالية ، وسياسة مثالية ، لأن القوات الجديدة ، وسكان ولاية طنجة كانوا يمثلون جماعات عديدة ومختلفة من السكان المحليين ، ولا يمكن لقائد من غير ابناء جلدتهم ان يفهمهم بسهولة ، ويؤلف قلوبهم ، وينظم حياتهم في ظل العهد العربي الاسلامي الجديد ، فكان طارق بن زياد خير من يقوم بهذه المهمة ، لانه ابن البلاد ، الخبير باحوالها وطبيعة سكانها .

والواقع ان معلوماتنا عن هذا القائد محدودة جداً ، حيث تشير بعض الروايات الى انه كان من موالي قبيلة صدف العربية ، بينما تؤكد روايات اخرى ، انه من موالي موسى بن نصير ، وينتمي الى قبيلة نَفْزة ، وهذا مايجمع عليه معظم المؤرخين[٢٥] ،ومن المرجح ان اباه كان قد أسلم في ايام عقبة بن نافع الفهري ، ودخل في خدمة العرب الفاتحين . وقد شب طارق في بيئة عربية اسلامية ، والتحق بخدمة موسى بن نصير ، الذي قربه ، وعهد اليه بمساعدته في قيادة الجيوش ، فساهم معه في حملات عديدة ، لاسيما في طنجة ، والسوس الأدنى ، ووادي درعا ، وغيرها من مناطق المغرب الأقصى ، ثم عينه اخيراً قائدا لحامية طنجة ، وحاكماً عاماً للمدينة ، كما أشرنا الى ذلك قبل قليل .

أما مدينة سبتة ، فقد ظلت بيد حاكمها البيزنطي جوليان . وقد حاول موسى ان يقتحم هذه المدينة بالقوة ، لكنه جوبه بدفاع مستميت من قبل اتباع جوليان ، وساعدهم في هذا حصانة المدينة التي استعصت على العرب . ونظراً لسياسة جوليان التوفيقية في مجابهة الاحداث والاخطار الخارجية ، ولعلاقاته السابقة مع عقبة بن نافع ،

فقد حاول ان يتقرب من موسى ، خاصة بعد ان انقطعت به الاسباب ، ولم يبق له مجال للاتصال بالمشرق ، أو بالقوط الغربيين في اسبانيا ، فعرض على موسى الصلح والاعتراف بالحكم والسيادة العربية ، مقابل اقراره في منصبه[٢٦] ،وقد وافق موسى على هذا الصلح ، حيث ان المدينة أصبح لاحول لها ولاقوة نظراً لاحاطة جيوش المسلمين بها من كل جانب ، وانها قريبة من طنجة ، ويمكن مراقبتها ورصد اي نشاط يصدر عنها ، وفي الوقت نفسه ، فإنه يمكن الاستفادة منها لمراقبة البر المقابل ، اي شبه جزيرة ايبريا ، والاطلاع على أحوالها ، فكان الابقاء على سبتة بيد جوليان وسيلة تضمن للمسلمين دراسة الاحوال السياسية والاجتماعية لهذه البلاد التي يحكمها القوط الغربيون ، وكان رأي موسى صائباً ، إذ اثبتت الاحداث ، صدق فراسته في ارجاء السيطرة على سبتة ، حيث لعب حاكمها جوليان واتباعه دورا بارزا في عملية فتح الأندلس ، وكانت هذه المدينة هي النافذة التي أطل منها العرب على الاندلس ، وهيأت لهم الاسباب لحمل راية الاسلام الى تلك المنطقة[٢٧].

وبعد هذه الانجازات الرائعة التي حققها موسى بن نصير في المغرب الأقصى ، عاد الى القيروان مع معظم الجيش العربي ، بعد أن اطمأن على اقرار الاوضاع في طنجة ، وفي الطريق تم القضاء نهائياً على كل جيوب المقاومة المتبقية . ومن أهم المعاقل التي استمرت في المقاومة ، قلعة مجانة ، التي تبعد نحو خمس مراحل عن القيروان ، وتقع في الوقت الحاضر على الحدود بين تونس والجزائر . ونظراً لحصانة القلعة ، وتمسك حاميتها البيزنطية بالدفاع عنها ، قرر موسى ان يتركها مؤقتاً حتى لايشغل جميع الجيش في حصارها ويعيقه عن

الوصول الى القيروان ، لكنه بعد ان وصل الى مقر قيادته ، دعا أحد قادته ، وعقد له على أعنة الخيل ، وأمره ان يمضي الى هذه القلعة ويحاصرها الى ان يتم افتتاحها نهائياً . ولما رأى جنود الحامية ، اصرار العرب على القتال وتصميمهم على اقتحام القلعة ، لم يستمروا بالدفاع عنها وألقوا أسلحتهم ، فدخلتها القوات العربية بقيادة القائد العربي الذي تطلق عليه بعض الروايات اسم بسر بن أبي ارطاة . وأصبحت القلعة تسمى منذ ذلك الحين باسمه « قلعة بسر » أو « قلعة بشر » .

ومن الجدير بالذكر هنا ان القائد بسر بن أبي ارطاة كان قد شارك في حملات عقبة بن نافع الفهري ، ومن غير المؤكد أنه صاحبَ موسى بن نصير في المغرب . وقد اختلفت الروايات في وفاته ، فقيل انه توفي في زمن معاوية بن أبي سفيان ، وقيل بل في ايام عبد الملك بن مروان ، ولهذا يحتمل ان الذي قام بعملية اقتحام قلعة مجانة ، هو شخص آخر غير بسر بن أبي ارطاة ، وقد خلطت الروايات بين اسمه واسم بسر ، بل أن بعض الروايات تذكر ان القائد هو « بشر بن فلان » زيادة في عدم التأكد ، الأمر الذي يشير الى تردد هذه الروايات وعدم تأكدها من الاسم الحقيقي لهذا القائد[٢٨]. وعلى أية حال فإن أوضاع المغرب العربي العسكرية استقرت تماماً بعد هذه العملية ، وتمت هيمنة موسى بن نصير على كل الشمال الافريقي ، من برقة الى المحيط الاطلسي . وهكذا تم فتح وتحرير شمال افريقيا ، بعد مايربو على السبعين عاما من النضال المستمر ، بفضل الجهود التي بذلها العرب المسلمون وقادتهم ، وعلى رأسهم موسى بن نصير .

٢ ـ الحملات البحرية :

لم تكن جهود موسى بن نصير لتكتمل في الهيمنة على المغرب العربي لولا اهتمامه بالبحرية العربية ، التي قدمت الدعم الكامل لنشاط القوات البرية ، وذلك بتأمينها لسواحل الشمال الافريقي من كل غزو محتمل من قبل البيزنطيين . وقد لاحظنا في اثناء الحديث عن شباب موسى بن نصير ، انه كان مهتماً بالنشاط البحري العربي ، عندما كان مايزال في بلاد الشام في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وانه قاد بنفسه حملة بحرية على جزيرة قبرص ، وبنى فيها حصونا دفاعية مهمة ، لهذا فهو يدرك تماما أهمية حماية الشواطىء العربية ، وان الامتداد البري للقوات العربية لايكفي لتأمين الفتوح واستقرارها ، كذلك فإن سلامة الانجازات التي تم تحقيقها في المغرب تتطلب نشاطا بحريا عربيا كبيرا في غرب البحر المتوسط ، لاسيما ان للبيزنطيين هناك قواعد كبيرة باستطاعتها مهاجمة الشمال الافريقي ، وتعريض المسلمين فيه للخطر . وقد حصل فعلا إن قامت الأساطيل البيزنطية بالاغارات المتكررة على هذه الشواطىء ، وقطعت خطوط الامدادات والتموين امام قادة الفتوح الذين سبقوا موسى بن نصير في العمل في هذا الميدان ، ولم يكن من المستبعد ان يُعيد البيزنطيون نشاطهم هذا في ولاية موسى ، لاسيما وأنهم فقدوا معظم قواعدهم على الشاطىء الافريقي ، وذلك في محاولة أخيرة لاسترداد مايمكن استرداده .

كان من اهداف السياسة البحرية لموسى بن نصير السيطرة على جزر البحر المتوسط الغربي ، وعلى رأسها صقلية ، واتخاذها قواعد

بحرية أمامية تحمي السواحل الافريقية ، وتنـطلق منها الحمـلات المنتظمة لفتوح جديدة ، تشمل اماكن اخرى مثل شبه جزيرة ايبريا وغيرها . وقد ابتدأ موسى سياسته هذه بحماية السواحل العـربية أولاً ، فوضع حراسة قوية عليها ، وكلف طارق بن زياد بهذه المهمة ، حيث توجه الاخير الى تلمسان ، وابتدأ برصد السفن البيزنطية ، في محاولة للاستيلاء عليها ، واخذ من عليها من الرجال للاستفادة منهم في الحصول على معلومات يمكن ان تستخدم في مهاجمة الأندلس ، أو غيرها من مناطق البحر المتوسط[٢٩] .

وكان من ابرز اعمال موسى بن نصير في دعم البحرية العربية ، اهتمامه بتوسيع دار الصنـاعة التي سبق ان شيـدها حسـان بن النعمان الغساني في مدينة تونس . فلقد اختـار حسان مكـان هذه المدينة الحصين ليكون قاعدة للاسطول العربي في شمال افريقيا ، حيث يقع على بحيرة تتصل بوساطة برزخ بالبحر المتوسط ، فقطع حسان البرزخ وبنى المدينة الجديدة بالقرب من البحيرة . ولغرض توفير الأيدي العاملة المتخصصـة لبناء السفن ، طلب حسـان من الخليفة عبد الملك بن مروان ان يرسل له عمالاً اقباطاً من مصر ، ولبى الخليفة طلبه ، فوصلت البلاد الف اسرة قبطية وبدأت بالمساعدة في بناء الاسطول العربي في شمال افريقيا[٣٠] ، ويذكر بعض المؤرخين ان دار بناء السفن في تونس ، كانت من انشاء موسى بن نصير نفسه ، أو من انشاء عبيد الله بن الحبحاب[٣١] ، ولكن من المحتمل ان اختلاف المؤرخين بشأن الذي أنشأ دار السفن في تونس يعود الى إسهام هؤلاء الولاة الثلاثة في بنائها ، فإن العمل الذي ابتدأ به حسان بن النعمان ، قد استكمل في عهد موسى بن نصير ، ثم انجز أخيرا في عهد عبيد الله

ابن الحبحاب .

ويعود الفضل الى موسى بن نصير في تنظيم حركة الملاحة في هذه القاعدة البحرية ، بما يكفل للاساطيل العربية فيها الحماية والسلامة فوسع دار الصناعة فيها ، وشق القناة التي توصل بين مرسى (رادس) الذي يقع على فتحة البحيرة التي تخرج منها السفن الى البحر المتوسط ، وبين القاعدة في تونس ، على طول اثني عشر ميلاً . وبفضل تلك القناة أصبحت المدينة ذاتها مشتى للمراكب ، تقيها من العواصف والانواء ، وفضلا عن ذلك ، كان يمكن اغلاق هذه القناة عند اتصالها بالبحر المتوسط ، بواسطة سلسلة قوية ، على نحو ماكان متبعا في المدن البحرية في العصور الوسطى[٢٢].

وبعد اكمال متطلبات الدفاع عن السواحل ، باشر موسى بن نصير باتباع سياسة الهجوم على القواعد البيزنطية القريبة من شمال افريقيا . واستهدفت هذه السياسة اولاً الاستيلاء على جزيرة قوصرة ، التي تعرف اليوم باسم بنطلارية ، وهي تقع بين صقلية وساحل افريقية ، حيث تبعد نحو مائة كيلومتر عن مدينة مازر الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من صقلية[٢٣] ، ولهذا فهي تتمتع بموقع ممتاز يساعد على الدفاع عن الشمال الافريقي ، وتعد في الوقت نفسه قاعدة متقدمة للهجوم على صقلية ، ومراقبة حركة الاسطول البيزنطي ، واحباط محاولاته في الهجوم على السواحل الافريقية . وقد صمم موسى بن نصير على الاستيلاء عليها سنة ٧٨ هـ / ٧٠٧ م ، وانتدب لقيادة الحملة البحرية التي أعدها أحد قادته الابطال ، وهو عبد الملك بن قطن الفهري ، الذي سيصبح فيما بعد أحد ولاة الاندلس المشهورين ، وخرج هذا القائد على رأس اسطول قوي من تونس ، واستولى على هذه الجزيرة وضمها الى ولاية افريقية[٢٤].

ونتيجة لهذا فقد أصبحت جزيـرة قوصـرة قاعـدة مهمة من قواعد الاسطول العربي ، فخرجت منها الحملات البحرية للاغارة على صقلية ، حيث أنزلت بالاسطول البيزنطي الراسي في موانئها التخريب والتدمير ، وكان من اشهر هذه الحملات ، تلك التي قادها عياش بن أخيل ، الذي هاجم مدينة سرقوسة ، التي تعد من اكبر مدن جزيرة صقلية ، فقاتل أهلها ، وغنم جميع مابهـا ، ورجع سـالماً(٢٥). وقـد ساهمت مصر بهذا النشاط البحري الذي قـاده موسى بن نصـير ، فاشتركت اساطيل المغرب واساطيل مصر في حملات حربية لضرب القواعد البيزنطية في غرب البحر المتوسط ، وتشير المصادر الى احدى هذه الحملات التي أرسلها الأمير عبـد العزيـز بن مروان من مصر بقيادة عطاء بن رافع الهذلي ، فرست في مدينة سوسـة ، حيث أمر موسى بن نصير بتـزويدهـا بما تحتـاج اليه من الامـور الادارية ، كالأرزاق والاسلحة والتجهيزات . ولكنه في الوقت نفسه حذر قـائد الحملة بان موسم ركوب البحر قد فات في ذلك العام ، وأن العملية ستكون خطرة بسبب رداءة الاحوال الجوية في شهر تشرين الثاني ، ونصحه بالاقامة في سوسة حتى يطيب ركوب البحر ، ولكن عطاء بن رافع الهذلي لم يأخذ بنصيحة موسى بن نصير ، وشحن مراكبه متوجها الى هدفه في جزيرة سردانية ، وقد نزل بحارته على عاصمة الجزيرة ، واستولوا عليها ، ورجعوا محملين بغنائم كثيرة ، وفي طريق العودة تحـطمت معظم سفن هـذا الاسطول ، بسبب اضـطراب الاحوال الجوية ، وقد بعث موسى بن نصير حملات تفتيشية الى الشواطىء بقيادة يزيد بن مسروق ، لانقاذ الاشخاص الذين نجوا من الغرق ، ولم يعد موسى يسمح بمثل هذه الحملات حفظاً على سلامة البحارة ،

والسفن العربية [٣٦].

أمر موسى بعد ذلك بادخال السفن المتضررة ، ومن نجا من بحارتها في دار صناعة السفن بتونس لتصليحها واعدادها ثانية للعمل في الحملات البحرية . وكانت هذه الدار قد وقفت بشكل قوي جداً وراء النشاط البحري العربي ، وأنتجت السفن على اختلاف انواعها ، وشحنتها بالعدة ، والعتاد ، وهيأتها لحملات بحرية اخرى ، مثال ذلك الحملة التي عقد فيها موسى القيادة لعبد الله بن مرة ، وأمره بالتوجه الى سردانية وافتتاح مدنها ، فنجح في مهمته ، وعاد محملاً بالاسرى والغنائم [٣٧]، ولعل من اهم الحملات البحرية التي قامت بها الاساطيل العربية ، تلك التي قادها عبد الله بن موسى ابن نصير على جزيرة صقلية ، فقد دعا الامير موسى الى التأهب لركوب البحر ، وأعلم الناس أنه راكب فيه بنفسه ، فرغب الناس وتسارعوا ، ولم يبق شريف ممن كان معه الا لحق بهذه الحملة ، فعقد موسى لابنه عبد الله على قيادتها ، وولاه عليهم ، ثم أمره بالاقلاع . وانما أراد موسى بما أشار من مسيره ، ان يجتمع أهل الجد والنكاية والشرف على المساهمة في هذه الحملة التي سميت بـ « غزوة الاشراف » ، وكان عدد افرادها يتراوح بين تسعمائة الى الف رجل . وقد سار عبد الله بن موسى الى هدفه ، فأصاب في هذه الحملة جزيرة صقلية ، وافتتح احدى مدنها ، ثم انصرف راجعاً الى افريقية [٣٨]، كما قام عبد الله بن موسى أيضا بقيادة حملة اخرى الى جزيرتي ميورقة ومنورقة القريبتين من الساحل الشرقي لاسبانيا ، وافتتحهما سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ ـ ٨٠٧ م [٣٩].وهكذا استطاعت الاساطيل العربية ان تلاحق البيزنطيين في قواعدهم في هذه الجزر ، وتسيطر عليها لتأمين الشمال

الافريقي من غاراتهم المفاجئة .

لم تقتصر النتائج التي حققها الاسطول العربي في البحر ع الانتصارات الحربية حسب ، بل حقق انجازات اخرى على الصعيد الداخلي ، فقد ازداد العمران في مدينة تونس ، نتيجة انتعاش دار الصناعة ، وتأمين الاستقرار فيها ، وبدأت تحقق الهدف من إنشائه لتكون قوة وعدة للمسلمين ، كذلك استفادت القيروان وزاد عمرانها ، وازدهرت الحياة فيها ، نتيجة حماية تونس لها ، وتجنبها ماسبق وكانت تتعرض له من هجمات الاسطول البيزنطي على سواحل افريقية ، ولهذا فقد بدأت القيروان تجني في عهد موسى بن نصير ثمار هذا النشاط البحري الكبير ، وتتفرغ لاداء رسالتها في نشر الثقافة العربية الاسلامية بين السكان الأصليين [٤٠].

٣ ـ الاعمال الادارية :

مر بنا فيما مضى من فصول هذا الكتاب ان موسى بن نصير كان اداريا حازماً من الدرجة الاولى ، وانه تمرس في مناصب عديدة أهلته ليكون من اولئك الولاة الذين يفكرون بما يعملون ، ويعرفون مايريدون ، وينفذون مايخططون ، فأخذ يرسم من مقر ولايته الجديد في القيروان ، السياسة الادارية لهذه البلاد ، بما ينسجم والاهداف العامة للدولة العربية الاسلامية . فبعد اقرار الامن والاستقرار ، الذي تحقق على يد موسى بن نصير ، كانت البلاد بحاجة الى اعادة تنظيم شامل ، بعد عهود الفوضى والاضطرابات التي سادت فيها قبل دخول العرب ، وفي الايام الاولى من وجودهم في الشمال الافريقي . وقد عجزت القوى التي حكمت البلاد عن ادخال السكان في نطاقها ،

واقتصر تأثيرها على بعض المدن المبعثرة على طول الشريط الساحلي لشمال افريقيا ، أما داخل البلاد ، فقد ظل بعيداً عن التأثر ، ولم يصل اليه الرومان ، ومن جاء بعدهم من الغزاة الأجانب كالوندال والبيزنطيين .

كان من اهم الاهداف التي اراد موسى بن نصير تحقيقها ، كسب ثقة السكان المحليين ، وان يثبت لهم ان العهد الجديد يختلف كل الاختلاف عما سبق وشاهدوه في العهود الماضية . وكان هؤلاء السكان يتألفون من عناصر مختلفة ، أهمها الأمازيغ ، الذين أطلق عليهم اليونان والرومان اسم (بربر) ، والواقع ان هذه الكلمة أطلقت على جميع العناصر التي لاتدين لحضارة اليونان والرومان . وقد رفض هؤلاء السكان الانضواء تحت لواء الحضارة الرومانية ، وسموا أنفسهم باسم الأمازيغ ، اي الاحرار ، ولكن الاسم الأول ظل شائعاً واستعمله العرب ليس بالمعنى الروماني ، ولكن بوصفه علماً يخلد صمود هؤلاء الاقوام امام غزو الحضارات القديمة الطاغية ، ورمزا الى اعتزازهم بشخصيتهم ومقومات حياتهم [٤١] ، وكان ولاؤهم غالبا لمن يسيطر على المنطقة ، وسكنوا بصورة رئيسة في المدن الساحلية ، واخذوا الديانة المسيحية عن البيزنطيين ، كما اعتنق بعضهم الاسلام ، بعد دخول العرب الى المنطقة [٤٢] ،وفضلاً عن هذه الاقوام ، كان هناك جماعات اخرى من البيزنطيين ، الذين قطعت بهم الاسباب ، واضطروا للبقاء في بعض المناطق الساحلية من الشمال الافريقي ، ولقد استطاع موسى ان يتخلص من خطر هؤلاء ، ومن احتمالات اتصالهم مع الاسطول البيزنطي في البحر المتوسط ، فاتخذ اجراءات ادارية سريعة بنقلهم من الساحل الى مناطق قريبة في

الداخل ، حيث أصبح بامكان العرب ان يراقبوا فعالياتهم بدقة [٤٣].

اما بالنسبة للسكان الأصليين ، فقد اختلفت سياسة موسى ازاءهم ، حيث حرص على ازالة الرواسب التي تخلفت عندهم نتيجة الطغيان الذي تعرضوا له سنين طويلة من الغزاة الاجانب الذين وفدوا الى بلادهم ، وتمثلت تلك الرواسب فيما انطوت عليه نفوس الاهالي من خوف وكراهية لكل لون من الوان التحكم والسيطرة . وقبل مجيء العرب ، كان البيزنطيون هم المسيطرون على شمال افريقيا ، ولكن سيطرتهم مع ذلك لم تتعد المنطقة الساحلية ، وظل السكان المحليون اقوياء ومستعدين للثورة عند اقل استفزاز ، وكان على الحكام البيزنطيين ان يواجهوا دوما حركات تحررية ، لاسيما في منطقتي طرابلس ، وجنوبي جبال الاوراس . ولقد قاوم الأمازيغ البيزنطيين ، لانهم حاولوا السيطرة على أراضيهم ، وتسخيرهم في الحقول ، ونهب انتاجهم ليعيش عليه سكان القسطنطينية ، هذا فضلا عن انه كان على السكان المحليين ان يدفعوا ضرائب عالية لتغطية نفقات الجيش البيزنطي ، واعمال الاستحكامات العسكرية ، وكان عليهم ايضا ان يدفعوا ضرائب اخرى للكنيسة ، وهكذا فإن هؤلاء السكان كانوا يخضعون لنظام ضريبي مزدوج [٤٤].

وزاد من سوء حالة السكان ، ان البيزنطيين عمدوا الى احاطة ممتلكاتهم في شمال افريقيا بتحصينات قوية ، وأقاموا في كل حصن أو رباط مجموعة من الجند للدفاع عنه ، وأسرفوا في ذلك اسرافاً شديداً بحيث اعادوا بناء كل التحصينات التي كانت ترجع الى العهد الروماني ، والتي دمرها الوندال ، كما بنوا تحصينات جديدة . ومن اجل حماية هذه الخطوط الدفاعية ، أشرك البيزنطيون الفلاحين

المحليين ، واجبروهم على الدفاع عنها [٤٥]، الأمر الذي سبب استياء السكان المحليين ، وخلف حالة من العداء والكراهية بين الجانبين ، فكانت كثرة هذه التحصينات ، ووجود الجند فيها ، سببا في حمل الاهالي على ان يقفوا من البيزنطيين موقف العداء ، والارتياب ، وان ينفروا من كل مايتصل بهم من حضارة ولغة ، وقد قسمت هذه التحصينات البلاد على قسمين : القسم الساحلي ، الذي انتشرت فيه لغة وحضارة البيزنطيين ، والقسم الداخلي ، الذي ظل فيه السكان المحليون محتفظين بشخصيتهم واستقلالهم . وقد خلّف هذا التقسيم حالة مستمرة من الاحتكاك بين الجانبين ، أدت الى ازدياد هجمات السكان المحليين على التحصينات والاستيلاء عليها ، واضطر البيزنطيون الى الانسحاب امام هجماتهم ، حتى صار سلطانهم مقصورا على شريط ساحلي ضيق ، تعيش مدنه في حالة من الخراب والفوضى الشاملة [٤٦].

هكذا كان الموقف في شمال افريقيا قبل وصول العرب اليها ، واستمر الوضع على هذا الحال في العقود التي سبقت مجيء موسى بن نصير وتوليه شؤون البلاد ، حيث ظل السكان المحليون غير مطمئنين ، نتيجة لما أصابهم من الظلم والاضطهاد على يد البيزنطيين . وقد اتجهت الادارة العربية الى بث الحياة في السكان ، والعمل على تكريمهم ، ورفع شأنهم . وفي الواقع ، بدأت بوادر هذه السياسة تظهر على يد بعض الولاة الذين سبقوا موسى ، مثل عقبة بن نافع ، وابي المهاجر دينار ، وحسان بن النعمان ، لكنها ترسخت وثبتت في عهد موسى بن نصير ، حيث تأكد للسكان المحليين ان النظام الجديد يهدف الى حماية حقوقهم واموالهم من عدوان الحكام ، وكانت

هذه السياسة العربية المتمثلة بالمساواة والاخاء مع اهل البلاد ، هي التي جذبتهم الى التعاون مع العرب ، وأطلعتهم على حقيقة الادارة الجديدة .

بذل موسى بن نصير جهده لكسب ثقة السكان المحليين ، وقد برهن لهم بنفسه على اهتمامه بأحوالهم ، ومشاركتهم في السراء والضراء ، والعمل على احترامهم ، والسهر على خدمتهم ، وقد نجح في ذلك نجاحاً باهراً . ومن جملة الاجراءات التي اتخذت في هذا السبيل ، اعطاء قدر كبير من الحرية للقبائل في ادارة شؤونها الداخلية ، فتركت الادارة العربية لكل قبيلة من القبائل « خطة » تتصرف فيها وتؤدي مالها ، وتكون مسؤولة عنها . وقد جاءت هذه الخطوة السديدة التي اتبعها موسى نتيجة لدراسته للاوضاع العامة في شمال افريقيا ، ولأن هذا النظام ينسجم مع طبيعة البلاد وتكوينها الاجتماعي ، الذي كان قبلياً منذ أقدم العهود . ولقد كانت عادات وتقاليد اهل البلاد ، وحبهم للحرية ، هي أشبه ماتكون بعادات العرب وتقاليدهم ، فكان من الطبيعي أن يعاملوا معاملة خاصة ، ليس فيها تمييز أو إجحاف ، فعُدوا مساوين للعرب في الحقوق والواجبات ، وتركت أراضيهم بيد أصحابها يؤدون عنها الخراج ، شأنهم في ذلك شأن العرب .

وطبقت هذه المساواة في المعاملة حال دخول السكان المحليين في الدين الاسلامي . وقد بذل موسى بن نصير جهودا جبارة لنشر الاسلام في شمال افريقيا ، لانه ادرك ، كما ادرك ذلك من قبل بعض الولاة الذين سبقوه ، بان الاستقرار والهدوء لايمكن أن يسود في هذه البلاد ، الا اذا توحد اهلها جميعاً ، واصبحوا سواسية مع العرب .

فأرسل موسى رجالاً من الدعاة ليعلموا السكان المحليين القرآن ، وفرائض الاسلام ، وانتشر الاسلام في المغرب الأقصى ، وبنيت المساجد ، وجعلت المنابر في مساجد الجماعات [١٧].

وكان لبناء القيروان اثر كبير في انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية ، لأن احد اهداف عقبة بن نافع من بنائها ، هو جعلها مركزاً لجذب السكان المحليين الذين يعيشون حولها ، ولتعليمهم الدين الاسلامي ، والاتصال المباشر بالعرب . وقامت القيروان بهذه المهمة على احسن حال ، وغدت على عهد موسى بن نصير مركز الدواوين الكبرى ، ومصدر الادارة والسلطان ، وتوسعت في مهمتها في جذب السكان المحليين ، الذين أخذوا يتوافدون عليها لقضاء حاجاتهم في أمن وسلام ، وبذلك تهيأت الفرصة لعدد اكبر من هؤلاء في الاطلاع المباشر على احوال العرب ودينهم ، فوجدوا في الاسلام الخلاص من متاعبهم الاجتماعية والاقتصادية ، فدخلوا فيه ، وتوثقت عرى المودة والاخاء بينهم وبين العرب . وكان من جملة الوسائل الاخرى التي انتهجها العرب في حث السكان المحليين على اعتناق الاسلام ، اشراكهم في الفتوح والجهاد في سبيل الله ، والحرص على المساواة بين الفريقين في العطاء ، وتقسيم الغنائم ، وقد اتبع حسان بن النعمان هذه السياسة بعد قضائه على الكاهنة ، حيث ولّى اثنين من اولادها قيادة مواطنيهما من قبيلة جراوة ، وحينما جاء موسى ، توسع في هذه الاجراءات ، واعتمد اعتمادا كبيراً على المجندين من السكان المحليين ، بل انه خطا خطوة اكبر في تنصيب احد أفرادهم قائداً عاما على جيوشه ، وعده ساعده الايمن في كل حملاته ، ذلك هو طارق بن

زياد ، الذي خوله موسى بن نصير سلطات حربية وسياسية وادارية مطلقة على ولاية طنجة ، وقيادة حاميتها الاسلامية [٤٨].

ومن الجدير بالاهتمام هنا ، هو ان القيادة العليا التي مارسها طارق بن زياد في طنجة ، لم تقتصر على السكان المحليين ، بل عمل تحت امرته جند من العرب ممن تركهم موسى معه ، وهو سبق تفرد به موسى بن نصير ، واعلن للعرب وللسكان المحليين على السواء عن توجه الادارة العربية الجديد ، الذي يضع الكفاءة والاقتدار في المقام الأول ، ولايفرق بين المسلمين ، فالكل يعمل جاهدا لخدمة الدولة العربية الاسلامية ، وان الامة الجديدة الفتية لاتفرق بين قائد وآخر ، فالكل ابناء بررة لها سواء أكانوا من قادة الفتوح الاولى امثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، أم كانوا من القادة المتأخرين امثال موسى بن نصير ، وطارق بن زياد [٤٩].

وحرصت الادارة الجديدة ايضا على تعلم السكان المحليين للغة العربية ، وذلك بارسال المعلمين ، والاختلاط الشديد بين العرب والسكان ، وكان اقبال هؤلاء على اعتناق الاسلام قد أدى الى تعلمهم لهذه اللغة ، وانتشارها بينهم ، مما كان له الأثر الأكبر في عروبة المنطقة ، ولعبت الكتاتيب التي أنشأها العرب بالقرب من المساجد لتعليم ابنائهم القرآن والحديث واللغة ، دورا كبيرا في هذا المجال ، حيث وفد عليها عدد كبير من السكان المحليين لتلقي العلم فيها ، الأمر الذي أدى الى انتشار اللغة العربية بينهم ، وقد وجد هؤلاء في اللغة العربية سبيلا يجمع كلمتهم ، لانهم كانوا بحاجة الى لغة يتفاهمون بها ، وطريقة يكتبون بها مايريدون التعبير عنه ، ولم تكن لغتهم الأصلية لتفي بهذا الغرض ، فوجدوا في لغة القرآن ضالتهم ، كما

وجدوا في العرب الذين أقاموا بينهم نماذج رفيعة في اداء اللغة العربية السليمة والنطق بها ، اذ أجادوا في الخطابة والتعبير ، وتركوا لهم صورا ناصعة يمكن أن يقلدوها في ميدان اللغة . وكانت النتيجة المهمة لهذه السياسة التي اتبعها العرب في نشر اللغة العربية ، اختفاء العنصر اليوناني والبيزنطي من بلاد المغرب ، كما اختفت ايضا اللغات التي كانت تستعمل من قبلهم وقِبل من تأثر بهم من السكان . وأثبتت ادارة موسى بن نصير قدرتها على دفع البلاد نحو التطور العظيم الذي مازال يعم حياة سكانها الى هذا اليوم ، فلم تعد البلاد شريطا ساحليا يسكنه جماعة من المستعمرين المتحضرين ، يختفي وراءه امتداد داخلي خاص بالسكان المحليين البعيدين عن اسباب التقدم والرقي ، بل أصبحت البلاد جميعها وحدة متماسكة تشرف عليها ادارة مثالية ، ويسكنها شعب مسلم واحد ، قوي ، تنتشر بين أفراده ، روابط المودة والالفة والاخاء (٥٠).

وللحفاظ على مصالح السكان في شمال افريقيا ، عمل موسى بن نصير على تطوير دواوين الدولة التي تقوم بتنفيذ سياسة الادارة العربية في البلاد . وكان حسان بن النعمان الغساني قد نظم بعض هذه الدواوين ، لاسيما ديوان الجند ، كما نظم ايضا الضرائب التي تفرض على أهل الذمة الذين فضلوا البقاء في افريقية . فعمل موسى على الاستمرار في هذه السياسة ، وأولى اهتماماً كبيرا لهذا الأمر ، رغبة منه في تنظيم توزيع العطاء على الجند كافة ، سواء أكانوا من العرب أم من السكان المحليين ، لأن ديوان الجند ، هو المسؤول عن تسجيل اسماء المقاتلة من ابناء المغرب ، وصرف عطائهم .

وقد عني موسى بن نصير عناية خاصة بالتعامل النقدي بين

الافراد في شمال افريقيا ، ولدينا من عهده نماذج كثيرة من دنانير الذهب ، وفلوس النحاس التي ضربها في دار السكة بالقيروان في أواخر القرن الاول للهجرة ، ويبدو ان موسى قام بضرب هذه النقود بتخويل من الخليفة في دمشق ، وذلك تمشياً مع سياسة الدولة الاموية في المشرق ، التي امرت بتعريب الدواوين ، والاصلاح النقدي للتخلص من النقود الفارسية والبيزنطية وتعريبها ، ولهذا فقد جاءت خطوة موسى بن نصير في هذا المجال منسجمة تماماً مع الاهداف المركزية للدولة العربية الاسلامية ، وسنرى انه قام ايضا بضرب عملة ذهبية في الاندلس على غرار ماقام به في شمال افريقية للغرض نفسه [٢١]، ومن المفيد جدا ان نعلم ان موسى بن نصير اتبع طريقة حكيمة في تحويل النقود المحلية بالتدرج الى نقود عربية اسلامية صرفة ، فأمر اولاً بضرب نقود على شكل الدينار البيزنطي القرطاجني في سمكه ووزنه وحجمه ولغته اللاتينية ، لكنه استبدل العبارات التي تشير الى اسم القيصر والقابه ، بعبارات اسلامية تعلن وحدانية الخالق وتمجيده ، ثم ضرب بعد مدة اخرى دنانير ذهبية وفلوساً نحاسية حذف منها صورة قيصر الروم البيزنطيين ، مع ابقاء العبارات الاسلامية ، ثم ترقى تطور تعريب هذه النقود على يد موسى في المرحلة الثالثة ، فرسم في وسط الدينار عبارة التوحيد ، ومعها اثبات الرسالة المحمدية باللفظ العربي والخط العربي ، وهي : (لا اله الا الله) في وجه و (محمد رسول الله) في الوجه الثاني ، ولكن تاريخ الضرب ظل باللاتينية ، الى ان تم تعريبها تماماً بعد مغادرة موسى الى المشرق ، على يد أحد ولاة افريقية ، وهو اسماعيل بن ابي المهاجر ، فأصبحت تتفق تماماً مع الدينار الاموي في حجمه وشكله

ووزنه [٥٢].

أما بالنسبة للفلوس النحاسية ، فقد تم تعريبها تماماً في عهد موسى نفسه ، وأصبح جميع ماتحمله من كتابات باللغة العربيـة ، والغيت منها اللاتينية تمـاماً ، ولدينـا من هذه النقـود فلس ضرب بتلمسان في المغرب الأوسط ، ويحتمل كما يرى احد مؤرخي المغرب المحدثين ، انه ضرب بمناسبة فتح موسى بن نصير لهذه المدينة سنة ٨٦ هـ / ٧٠٦م ، وهذا الفلس عظيم الأهمية ، ففي أحد وجهيه كلمة (ضرب بتلمسين) بالخط الحجازي ، وليس عليه غير ذلك ، وعلى الوجه الآخر صورة شخص ملتح بذقن على الطريقة العربية ، وشعر راسه نازل الى الاذنين ، ومفروق من الوسط ، وهذا ايضا من عادات العرب في مشط شعر الرأس ، واغلب الظن ، كما يرى هذا المؤرخ ، ان هذه الصورة هي للقائد موسى بن نصير ، فاتح مدينة تلمسان [٥٣].

وقد اتخذ موسى بن نصير اكثر من نوع واحد من المسكوكات اينما حل في بلاد المغرب ، فقد ضرب فلوسا في طرابلس وعليها اسمه (موسى بن نصير) باللاتينية (MUSE) كما ضرب مثلها في مدينة طنجـة ، وفي الاندلس ايضـا ، وفي القيـروان ، ومن هـذه الفلوس مايحمل تاريخ ٩٢ هـ و ٩٣ هـ و ٩٤ هـ و ٩٥ هـ ، وهو آخر عهد موسى بالمغرب العربي . ان دراسة هذه النقود النحاسيـة بالذات ، والبحث عن سبب اتخاذها ، تشير الى ان موسى بن نصير انما ضربها لسد حاجة السكان ، وتسهيل الامور على جنده من المسلمين الذين جهزهم لفتح الاندلس ، بقصد تزويدهم بعملة ميسورة الصرف سهلة التداول ، كذلك لتسهيل التعامل التجاري في بلاد المغرب العربي ، وخلق جو من الاستقرار الاقتصادي فيه ، الامر الذي أدى فيما بعد

الى استقرار النفوذ العربي ، ورسوخ العقيدة الاسلامية بين مختلف اجناس السكان [٥٤].

وبعد وفاة عبد العزيز بن مروان سنة ٨٥ هـ / ٧٠٥ م ، تعزز المركز الاداري لموسى بن نصير في المغرب ، وأصبح ينعم بمركز ممتاز في القيروان ، وابتدأ يراسل الخلافة مباشرة ، دلالة على علو شأنه ، واستقلاله عن والي مصر . وفي السنة التالية اي ٨٦ هـ / ٧٠٦ م توفي عبد الملك بن مروان ، وتولى الخلافة ابنه الوليد الاول ، الذي سار على نهج ابيه عبد الملك ، وعمه عبد العزيز في دعم وتشجيع موسى بن نصير ، فكتب الى اخيه والي مصر الجديد ، عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، بولايـة موسى بن نصـير على افـريقية والمغـرب ، واستقلاله عنه ، تأكيداً لأهمية موسى ، ودوره في الولاية الجديدة [٥٥] ، ولم تنفع محاولات والي مصر في مضايقة موسى بن نصير ، وحثه على الارتبـاط الاداري به ، ومخـاطبته هـو بدلاً من الاتصـال المبـاشر بالخلافة ، وقد كتب اليه يؤنبه ويسفه رأيه فكان من جملة ماجاء في رسالة والي مصر :

« اما بعد : فإنك كنت من عبد العزيز وبشر بين مِهادينْ تعلو عن الحضيض مهودهما ويُدْفِئك دثارهما حتى عفا مَخبرك وسمت بك نفسك فلا تحسبنّي كمن كنت تخلبه واعداء بيتـه وتقول اكفيـاني اكفيكما ... وايم الله لأضعن منك مارفعا ولأقلّنَّ منك ماكثَّرا فَضحَّ رويدا فكأن قد أصبحت سادماً تعض أناملك نادماً والسلام » .

فكتب اليه موسى بن نصير جوابا عن هذا الكتاب يقول :

« اما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من اركاني الى ابويك وعمك ولعمري ان كنت لذلك اهلاً ، ولو خبرت مني ماخبرا لما

صغرت مني ماعظًما ولاجهلت من امرنا ماعلما فكيف آتاه الله لك ، فأما انتقاصك لهما فهما لك وانت منهما ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالا وكفاك جزاء العاق ، فأما مانلت من عرضي ، فذلك موهوب لحق امير المؤمنين لا لك ، واما تهديدك اياي بانك واضع مني مارفعا فليس ذلك بيدك ولا اليك فارعد وأبرق لغيري ...»[٥٦].

وفضلاً عن بلاغة هذا الرد العنيف ، فهو يدل على مدى ما يتمتع به موسى بن نصير من قوة شخصية وحزم اداري واضح ، مستمد من تأييد الخلافة في دمشق ، فهو لم يبال بما خاطبه به ابن الخليفة ، طالما كان متيقناً من موقفه السليم ازاء السلطة المركزية . وقد سبب رده هذا غضباً شديداً لوالي مصر ، فأرسل كتابا الى ابيه عبد الملك ، وأدرج معه كتاب موسى ، لكن الخليفة توفي قبل وصول الكتاب ، ووقع الرد في يد الوليد بن عبد الملك ، الذي علق على الموقف بين موسى واخيه والي مصر قائلاً : « لله دره ان كان عنده لآثرة من علم ولقد كان عبد الله غنياً أن يتعرضه » ، ثم عزل عبد الله بن عبد الملك عن ولاية مصر ، واستبدله بقرّة بن شريك ، في حين أطلق يد موسى بن نصير في شمال افريقية [٥٧].

هوامش الفصل الثالث

١ ـ الإمامة والسياسة : ٢ / ٥٠ .

٢ ـ المصدر نفسه : ٢ /٥١ .

٣ ـ العدوي ، موسى بن نصير ، ص ٣٤ ـ ٣٥ : وللمزيد من التفصيلات عن هذه المصطلحات ، انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٤٧ ، ٥٧ ـ ٥٨ .

٤ ـ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ : البكري ، ص ١١٧ : الرقيق ، ص ٧٠ ـ ٧١ : المالكي : ١ / ١٨ : ابن الأثير : ٤ / ٥٣٩ ـ ٥٤٠ : ابن عذاري : ١ / ٤٠ ـ ٤٢ : المقري : ١ / ٢٣٠ ، ٢٥٠ : الامامة والسياسة : ٢ / ٥٤ ـ ٥٥ .

٥ ـ المصدر نفسه : ٢ /٥٢ .

٦ ـ انظر : العدوي ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

٧ ـ الامامة والسياسة : ٢ /٥٣ ـ ٥٤ : وانظر : ابن عذاري : ٢ / ٤٠

٨ ـ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ : مؤلف مجهول ، فتح الاندلس ، نشر : دون خواكين دي كونثاليث ، الجزائر ، ١٨٨٩ ص ١٢ .

٩ ـ الامامة والسياسة : ٢ / ٥٤ .

١٠ ـ العدوي ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

١١ ـ الامامة والسياسة : ٢ /٥٤ .

١٢ ـ المصدر نفسه : ٢ /٥٤ .

١٣ ـ يُنظر عن هذه الاحداث : البكري ، ص ١١٧ ـ ١١٨ : الرقيق ، ص ٧٧ : ابن عذاري : ١ /٤١ : عبيد الله بن صالح ، ص ٢٤ : الامامة والسياسة : ٢ /٥٥ ـ ٥٦

١٤ ـ انظر : عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٥٦ ـ ١٩٦١ : ٦ /٢٠١ .

١٥ ـ محمد بن احمد المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان : ٣ /٢٨١ : ابن عذاري : ١ /٥ ، ٦ ، ٢٦ ، ٤٢ ـ ٤٤ : ابن خلدون : ٦ /١١٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق : سعد زغول عبد الحميد ، الاسكندرية ،

١٩٥٨ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

١٦ ـ انظر : ابن عذاري : ١/٤٤ ؛ الامامة والسياسة : ٢/٥٩ .

١٧ ـ انظر : عبيد الله بن صالح ، ص ٢٢٤ ؛ ابن عذاري : ١/٤٢ ؛ الامامة والسياسة : ٢/٥٨ ؛ وقارن : سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ : ١/٢٤٣ .

١٨ ـ ابن خلدون : ٦/٤٣٧ ـ ٤٣٨ ؛ احمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ : ١/٦٥ .

١٩ ـ عبد الملك بن الكردبوس ، الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد ١٣ ، مدريد ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ، ص٤٢ ؛ ابن الأثير : ٤/١٠٦ ؛ عبد الواحد بن علي المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، امستردام ، ١٩٦٨ ، ص ٦؛ ابن عذاري : ١/٢٦ ، النويري ، ق٢ : ٢٢/١٤ .

٢٠ ـ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ؛ اخبار مجموعة ، ص٤ ؛ فتح الاندلس ، ص ٢ ـ ٣ ؛ ابن الكردبوس ، ص ٤٢ ـ ٤٤ ؛ ابن عذاري : ١/٢٠٣ ، ٢/٦ ـ ٧ ؛ المقري : ١/٢٥١ .

21 — H.V. Livermore, The Origins of Spain and Portugal , London , 1977 , pp. 191 , 245 .

٢٢ ـ اخبار مجموعة ، ص٤ .

٢٣ ـ انظر : المقري : ١/٢٣٠ .

٢٤ ـ انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٦٠ ، ١٤٣ .

٢٥ ـ عبد الملك بن حبيب ، استفتاح الاندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد ٥ ، مدريد ، ١٩٥٧ ، ص٢٢١ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ؛ الرقيق ، ص ٦٩ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ ابن عذاري : ١/٤٣

٢٦ ـ اخبار مجموعة ، ص ٤ ؛ المقري (برواية ابن حيان) ؛ ١/٢٣٠ ابن خلدون : ٦/٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

٢٧ ـ انظر : العدوي ، ص ٤٢ .

٢٨ ـ انظر : ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ؛ البكري ، ص ١٤٥ ؛ الرقيق ، ص ٧٠ ـ ٧١ ؛

ابن الاثير : ٤/٥٤٠ ؛ النويري ، ق٢ : ٢٢/٢٢ ؛ وقارن : عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي : ١/٢٤٥

٢٩ ـ ابن حبيب ، ص ٢٢١ .

٣٠ ـ البكري ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ؛ الرقيق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ ؛ المالكي : ١/٣٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان : ٢/٦١ ـ ٦٢ .

٣١ ـ البكري ، ص ٣٧ ، ٣٩ ؛ الرقيق ، ص ١١٦ ؛ ابن عذاري : ١/١٥ ؛ الاستبصار ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

٣٢ ـ الامامة والسياسة : ٢/٥٧ ؛ وقارن : العدوي ، ص٤٤ .

٣٣ ـ معجم البلدان : ٤/٤١٣ ؛ ابو عبيد البكري ، جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢٦ .

٣٤ ـ انظر ، العدوي ، ص ٤٥ ـ ٤٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص٣٥ .

٣٥ ـ الامامة والسياسة : ٢/٥٨ ؛ ابن عذاري : ١/٤٢ ؛ وانظر : معجم البلدان : ٣/٢١٤ .

٣٦ ـ انظر : ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٩ ؛ الامامة والسياسة : ٢/٥٧ .

٣٧ ـ المصدر نفسه : ٢/٥٨ .

٣٨ ـ المصدر نفسه : ٢/٥٨ .

٣٩ ـ انظر : ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ : ٢/٤٦٦، ابن كثير : ٩/٧٧ ؛ ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ : ١/٢١٦ .

٤٠ ـ انظر : العدوي ، ص ٤٥ .

٤١ ـ المرجع نفسه ، ص ٥١ ـ ٥٢ ؛ وانظر : موسى لقبال ، المغرب الاسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ص ١٦ ـ ١٨ .

٤٢ ـ قارن : المرجع السابق ، ص ١٦ ؛ وانظر : طه ، الفتح والاستقرار ص ٥٠ ـ ٥١ .

٤٣ ـ انظر : الرقيق ، ص ٦٨ ؛ ابن خلدون : ٤ / ٢٢٠ .

٤٤ ـ انظر : طه ، المرجع السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

45 — Jamil Abun — Nasr, A History of the Maghrib, Cambridge, 1971, P.57.

٤٦ ـ العدوي ، ص٥٣ .

٤٧ ـ ابن عذاري : ١/٤٢ ؛ ٤٣ .

٤٨ ـ ابن حبيب ، ص٢٢٢ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ؛ الرقيق ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ؛ ابن عذاري : ١/٤٢ ؛ المقري : ١/٢٣٩ .

٤٩ ـ انظر : العدوي ، ص ٦١ .

٥٠ ـ المرجع نفسه ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

٥١ ـ انظر : حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

٥٢ ـ حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٥ : ١/٤٠١ ـ ٤٠٥ ؛ وانظر : صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ ، ص ٨٦ ـ ٨٨ ، ٩١ .

٥٣ ـ عبد الوهاب ، ورقات : ١/٤٠٦ ؛ ابن قربة ، المسكوكات المغربية ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

٥٤ ـ عبد الوهاب ، ورقات : ١/٤٠٥ ، ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

٥٥ ـ ابن عذاري : ١/٤١ .

٥٦ ـ الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

٥٧ ـ المصدر نفسه ، ص ٦٢ .



الفصل الرابع

انجازات موسى بن نصير على صعيد فتح الاندلس

١ ـ الاعداد والتخطيط للفتح

٢ ـ الاسهام المباشر في انجاز الفتح

٣ ـ نتائج الفتح واهمية دور موسى

١ ـ الاعداد والتخطيط للفتح :-

لم يكن رجوع موسى بن نصير الى القيروان بعد افتتاحه لطنجة نهاية لمشاريع الفتوح والجهاد ، التي ابتدأ بها في افريقية ، ووصل فيها الى اقاصي المغرب العربي . ويبدو انه كان يعد العدة لموجة جديدة من هذه الفتوح ، لتشمل شبه جزيرة آيبريا ، التي تعد من الناحية الجغرافية امتدادا طبيعيا لشمال افريقيا ، وقد كلف نائبه في طنجة ، طارق بن زياد ، بمهمة جمع الاخبار والاستطلاع عن هذه البلاد ، لقربه منها ، واقامته على المضيق الذي يفصل بين افريقيا واوربا . وكان طارق هو خير من يقوم بهذه المهمة ، لانه من السكان الاصليين لشمال افريقيا ، الذين خبروا احوال هذه البلاد ، وما حفلت به من احداث ، وكانوا على اتصال دائم بها ، نتيجة قربهم منها ، واحتكاكهم باحوالها الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية .

ولتوضيح الظروف التي دعت موسى بن نصير للتفكير في التوجه الى شبه الجزيرة الآيبيرية ، لابد لنا من ذكر نبذة عن الاحوال فيها قبل الفتح ، كانت هذه البلاد تحكم من قبل القوط الغربيين ، الذين استولوا عليها في اواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس للميلاد ، لكنهم كانوا يمثلون اقلية ضئيلة فقط ضمن السكان الاصليين المتكونين من خليط من الآيبيريين ، الذين جاؤوا من شمال افريقيا ، وهم اساس جنس البحر المتوسط ، ومن الكلت ، والاقوام الهندو ـ اوربية ، وبقايا الرومان ، وغيرهم من الذين سيطروا على اسبانيا في عصور متقدمة[1] . ولقد استوطن القوط في مناطق الارياف والمدن على حد سواء ، ولكن حتى في المدن ، كان السكان الاصليون

يتغلبون عليهم بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكان نظام الحكم القوطي ملكياً قائماً على مبدأ الانتخاب ، حيث ينتخب الملك من قبل النبلاء ورجال الدين ، وكان يفترض بالملك ان يكون من اصل قوطي نبيل ، ويختار من قبل النبلاء ، ولكن العادة جرت على ان يتولى اقوى هؤلاء بحد السيف . وكان الملك هو الرئيس الاعلى للجيش ، ويتمتع بحق تعيين وعزل الاساقفة عن مناصبهم الدينية ، ويحكم مستبداً ، يتصرف في امور البلاد كما يشاء . وكان للملك مجلس من النبلاء يساعده في الحكم ، لكن الملوك استبدوا بالامور ، ولم يعد لهذا المجلس اي شأن[٢] .

وكانت مجالس كنيسة طليطلة ، هي القوة الكبرى في الحياة السياسية والدينية في العهد القوطي ، وهذه المجالس هي بمثابة جمعيات وطنية لملكة القوط الغربيين ، تجتمع بين الحين والآخر للنظر في مسائل الدولة الكبرى ، وتجتمع بامر من الملك ، ويحضر اجتماعها كبار رجال الدولة والكنيسة والنبلاء ، وقد اصبحت هذه المجالس بمرور الزمن على علاقة وثيقة بالبلاط ، ولم يكن في القرن السابع الميلادي بامكان اي مجلس الانعقاد الا بامر الملك . وكان الاساقفة يناقشون ويقرون القرارات التي تتضمنها المسودة التي يقدمها الملك ، ولا يخالفون تعليماته ، او ينتقدونه بصورة مباشرة ، بل ينفذون كل طلباته[٣] .

كان المجتمع القوطي يعاني من مساوىء كثيرة ، فقد تركزت الثروة بيد مجموعة قليلة من السكان ، وكان هناك عدم مساواة واضحة في البنية الطبقية ، فالمجتمع القوطي يتألف من ثلاث طبقات ؛ وهم طبقة كبار ملاك الاراضي والنبلاء ، وكبار رجال الدين ،

والطبقة العامة ، وطبقة العبيد[4] . اما ابناء الطبقة العامة فيتألفون من الاحرار البسطاء الذين ينتمون الى اصول قـوطية ورومـانية ، وعاشوا في المناطق الحضرية ، وفي الارياف ، ومن هؤلاء ايضا العمال في المدن الذين كانوا ينتظمون ضمن اصناف ونقابات ، ولايحق لهم التحول عنها ، او الانتقال الى مدينة اخرى ، وكانوا محـرومين من دخول سلك رجال الدين ، او ان يصبحوا موظفين قضائيين[5] . وقد اضـطر الكثـير من سكـان الاريـاف الى تسليم اراضيهم الى كبـار النبلاء ، نتيجة لظروفهم الاقتصادية الصعبة ، ورضوا بالعمل فيها كمستأجرين ، لقـاء تمتعهم بحمايـة النبلاء ، ولقـد اصبح هـؤلاء بالتدريج مشدودين بالارض ، حتى تحولوا الى ما يشبه الاقنان .

وتأتي طبقة العبيد في الدرجة الدنيا من السلم الاجتماعي ، ويكـوّن هؤلاء الجمـاهير الغفيـرة ، وهـم ضحـايـا كل انـواع القهر والاضطهاد ، وكانوا مملوكين للنبلاء ورجال الدين ، ويستخدمـون للاغراض الزراعية ، والاعمال المنزلية ، وكانت احوالهم سيئة جداً ، ولهذا فقد حاول الكثير منهم الهرب والتخلص من عبوديتهم ، لاسيما ان الدولة التجـأت في اواخر ايـامها الى تجنيـد العبيـد في الجيش بالاكراه ، مما زاد في تذمرهم ومحاولاتهم للهرب والنجاة ، فاتخذت الدولة اجراءات قاسية ضد الهاربين ومن يتستر عليهم[6] .

اما الطبقة العليا ، اي طبقة النبلاء ، فكانت تتألف من اغنياء القوط الغربيين ، وبقايا طبقة النبلاء الرومان . ويتميز افراد هـذه الطبقة عن الاحرار الاعتياديين باصلهم النبيل ، وامتلاكهم للمزارع الكبيرة ، وبخدمتهم في القصر والادارة[7] .

كانت المسيحية هي ديانة الغالبية العظمى من السكان ، ولكن

كان ما يزال عدد لا بأس به من السكان الوثنيين في شبه الجزيرة لا سيما جماعات الباسك او البشكنس ، حسبما تسميهم المصادر العربية ، الذين يعيشون في منطقة الشمال الشرقي المتاخمة لجبال البرت او البرنية ، وكان هؤلاء السكان الجبليون متمرسين على القتال ، والتمرد على ملوك القوط المختلفين ، وظلوا مصدراً للقلاقل والاضطرابات طيلة العهد القوطي ، والعهود العربية الاسلامية اللاحقة ، بل ان انتفاضاتهم ومطالبتهم المستمرة للاستقلال ، او في الاقل الحكم الذاتي ، ماتزال تعكر صفو الحكومات الاسبانية المتعاقبة حتى الوقت الحاضر[٨] .

وقد شكل اليهود عنصراً آخر من عناصر السكان في مملكة القوط الغربيين ، ويعود تاريخ استيطانهم في شبه الجزيرة الى زمن بعيد جدا ، وكانوا ينتشرون في اماكن عديدة من البلاد ، لكن وضعهم في ظل القوط لم يكن حسناً ، فقد ضُيق عليهم وعوملوا معاملة غير جيدة من قبل ملوك القوط ، ولا تتوفر لدينا معلومات عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التضييق ، او لماذا منع اليهود من ممارسة اي نوع من انواع التجارة ، ولكن من المحتمل جداً انه كان بسبب اختلاف عقيدتهم ، وتعاطيهم الربا ، او بسبب تعاليهم على ابناء الديانات الاخرى ، وانغلاقهم على انفسهم ، واستغلالهم لغيرهم من الناحية الاقتصادية ، وربما كان لتآمرهم السياسي ايضاً اثر كبير على تشريع بعض القوانين المعادية لهم . وقد تأثر اليهود الى حد كبير باجراءات القوط المعادية لهم ، مما دفع الكثير منهم الى الالتجاء الى شمال افريقيا ، وغالة في جنوب فرنسا ، كما قام بعضهم بالاشتراك في بعض الحركات المناوئة للسلطة[٩] .

ان عدم التكافل الاجتماعي الذي كان يسود في دولة القـوط الغربيين ، والتضييق الذي لحق باليهود ، والظروف التعيسة التي كان يعيش في ظلها العبيد والكثير من افراد الطبقة العامة ، ادت الى تفكـك المجتمـع وانهيـاره . يضـاف الى ذلك ان حـالة العصيـان والمؤامرات المستمرة التي كان يقوم بها النبلاء من اجل الوصول الى العـرش ، او الانسلاخ عن المملكـة ، والحصول عـلى الاستقلال ، انهكت البلاد ، واوصلتها الى حالة يرثى لها من التردي والضعف ، ولقد حدث قبل الفتح العربي الاسلامي لاسبانيا بسنة واحدة تقريبا ، اقوى واقسى تنافس على السلطة في البلاد ،مما زاد في حالة الضعف والتفكك ، وسهل امر القضاء على دولة القوط الغربيين .

ابتدأت الازمة منذ ايام الملك غيطشة Witiza (٧٠٢ _ ٧١٠ م) الذي كان مكروها من قبل النبلاء ورجال الدين ، بسبب محاولته لانصاف الناس من استبدادهم ، فتآمروا عليه ، وثاروا في نواحي مختلفة من البلاد ، واستطاعت زوجته ان ترغمه عـلى تعيين ابنـه الصبي وقلة (اخيلا) Achila حاكماً على منطقتي طركونة وسبتمانيـا في الشمال الشرقي من البلاد ، وكان هذا التعيين حافزاً للنبلاء وكبار رجال الدين الى مضاعفة العمل للقضاء على غيطشة ودولته ، وفي هذه الاثناء توفي هذا الملك في حدود السنـة ٧١٠ م ، والبلد منشق على نفسه ، مفرّق بين رجال الدين وكبار النبلاء الطامعين ، وكان افراد البيت المالك انفسهم من اكثر الناس انقساما ، فقد ترك غيطشة ارملة وثلاثة بنين ، هم اخيلا ، والمند ، وارطباس ، واخوين كان احدهما اسقفاً لمدينة اشبيلية يدعى أبة Oppa والآخر وصيا على اخيلا ، الذي كان مرشحاً لوراثة العرش بعد ابيه ، لكن كبار رجال القوط لم

يرغبوا في الخضوع لصبي مثل اخيلا ، هذا فضلاً عن عدائهم لابيه ، وتخوفهم من استبداد الوصي في الحكم ، فامتنعوا من طاعة اخيلا ، واستقل بعضهم في الاطراف والنواحي ، وسادت حالة الفوضى والارتباك في البلاد ، استطاع على اثرها كبار القوط واعيانهم في طليطلة ، العاصمة ، ان يوحدوا جهودهم ضد اخيلا وعمه الوصي عليه ، وان يعهدوا بالعرش الى احدهم ، ويدعى رودريكو او لذريق Roderic [10]

وما يزال اصل الملك لذريق مختلفا فيه ، فيذكر احد المصادر اللاتينية انه كان سليل بيت احد ملوك القوط السابقين ، بينما يذكر المؤرخون العرب ، انه كان رجلاً شجاعا ، ولكنه لا ينتمي الى بيت الملوك ، وانه كان قائداً وفارساً . ونظراً الى حاجته الى المال ، ابتدأ لذريق حكمه بان حاول الاستيلاء على خزائن اسلافه في كنيستي سان بيدرو San Pedro ، وسان بابلو San Pablo في طليطلة ، وقد اوحت هذه الحادثة الى ظهور الرواية الاسطورية المشهورة في المصادر العربية ، التي تتعلق بلذريق وبيت الملوك ، او بيت الحكمة . وتقول هذه الرواية ان لذريق اصر على دخول البيت الذي يدفن فيه الملوك بتيجانهم ، رغم اعتراضات رجال الدين ، معتقداً انه قد يجد فيه كنزاً ، لكنه وجد بدلا من ذلك صورا لرجال من العرب المعممين ، وهم يحملون سيوفهم وقسيهم ، وكان مكتوب هناك ، ان البلاد ستفتح من قبل رجال مشابهين لهذه الصور ، اذا ما كسرت اقفال هذا البيت ودخله احد[11] .

لم تكن مشكلة لذريق الوحيدة هي الحاجة الى المال ، بل كان عليه ايضا ان يجابه انتشار الفساد في مملكته . وكانت الثورات

وحركات التمرد ماتزال تعكر صفو البلاد ، لاسيما في منطقة الباسك وكان العبيد يهربون في كل انحاء البلاد ، وتشير هـذه الحقيقة الى ضعف القوط المتأصل ، والى الحد الذي وصل اليه تدهور قوتهم ، لان الغالبية العظمى للجيش القوطي في اواخر القرن السابع الميلادي كانت تتألف من العبيد المجندين ، ولهذا فليس من الصعب على المرء ان يتخيل مصير هذا الملك ، ومملكة القوط الغربيين عامة ، عندما كان عليهم ان يجـابهوا حمـاسة العـرب والمسلمين المتـدفقة ، وكلمتهم الموحدة ، ورغبتهم الجامحة في سبيل نشر مبادىء الحق والعـدل ، وتحرير الشعوب من الظلم والفساد .

كان السكان المحليـون في شمال افـريقيا مـطلعين عـلى هذه الاحوال بحكم مجاورتهم لشبـه الجزيـرة الآيبيريـة ، واتصالاتهم التجارية المستمرة معها ، فتجمعت هذه الاخبار التي تشير الى سوء الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لدى طارق بن زياد الذي اوصلها الى موسى بن نصير في القيروان . وقد برز عامل آخر ساعد على لفت انظار العرب ، والقائد موسى ابن نصير خاصـة الى اهمية العبور الى الاندلس ، ذلك ان حاكم سبتة ، جوليـان ، الذي اقره العرب على تلك المدينة لقبوله بالسيادة العربية ، اراد ان يزيد من تعاونه معهم ، لا سيما بعد ان فقد امله في الاستمرار في الاتصـال بالقوط الغربيين ، بعـد وفاة صـديقه غيـطشة ، ومجيء لذريق الى الحكم ، وكان هذا الموقف من جوليان منسجما تماما مع الظروف التي احاطت به في ذلك الوقت ، فلم ير بدأ من التعاون التام مـع العرب للاطاحة بالقـوط الغربيـين في شبه الجـزيرة الآيبيـرية ، والتخلص منهم ، وما يمكن ان يصيبه من شرهم نتيجة استيـلاء لذريق على

السلطة ، لهذا كان من صالحه ان يعمل على اظهار نواياه الحسنة ازاء العرب ، وتوجيه انظارهم الى الاندلس ، ولا يستبعد ان يكون جوليان قد نال تأييد افراد اسرة غيطشة في هذا الاتجاه للانتقام من لذريق[١٢] .

وتشير معظم المصادر العربية الى قصة اسطورية لتعليل سبب تعاون جوليان مع طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وتذكر ان سبب سوء العلاقات بينه وبين لذريق يرجع الى اعتداء الأخير على شرف ابنته ، التي كانت في بلاط طليطلة لتتعلم وتتثقف جريا على عادة ابناء ملوك ذلك الزمن ، وتسهب القصة في تعلق الملك لذريق بجمالها ، ومحاولته النيل منها ، لكنها قاومته ورفضت ، فلجأ الى العنف واغتصبها رغم ارادتها ، فاحتالت حتى ابلغت والدها بالامر ، فاسرع بالسفر الى طليطلة ، في فصل الشتاء ، دون ان يأبه بمخاطر الطريق وعندما قابل الملك لذريق ، اوجس الاخير منه خيفة ، بسبب حضوره في ذلك الموسم القاسي ، فاعتذر جوليان بمرض زوجته وانها تود رؤية ابنتها قبل وفاتها ، فانخدع لذريق بهذه الحجة ، وسمح للفتاة بالعودة مع ابيها ، وتشير هذه الرواية ايضا الى محادثة جرت بين جوليان ولذريق الذي طلب من الاول ان يحضر له بعض الصقور عند قدومه بالمرة التالية ، فاجابه جوليان بانه سيدخل عليه صقورا ما دخل مثلها عليه قط . وتكشف هذه الاجابة حسب زعم الرواية ما اضمره جوليان من الكراهية والحقد نحو لذريق ، وانه ينوي الاتصال بالعرب ، وادخالهم الى اسبانيا للانتقام منه ثم سار الى طارق بن زياد ، حاكم طنجة ، واخبره برغبته في الانتقام ، وانه مستعد للتعاون مع العرب في الحرب ضد مملكة القوط . وتذكر روايات اخرى انه لم

يكتف بذلك ، بل سار الى القيروان للقاء القائد موسى بن نصير ، محاولاً اقناعه بفكرة فتح الاندلس[١٣] .

وهذه القصة ما هي الا محض اسطورة ليس لها اساس من الواقع ، ولا نحتاج اليها لكي نعلل دخول العرب الى الاندلس تعليلاً معقولاً ، فقد كان ذلك الاجراء هو الامر الوحيد المنتظر في الظروف التي سادت المغرب العربي ، بعد انجاز فتح طنجة والمناطق المحيطة بها . فلقد كان طارق بن زياد يقيم في حامية هذه المدينة ومعه عدد كبير من الجند ، لاسيما اولئك الذين اعتنقوا الاسلام من السكان المحليين ، وباتوا يتطلعون بشغف الى الفتح والجهاد ، وكان جوليان الى جوارهم في سبتة ، يتربص الاحداث ، ويقدر النتائج المقبلة ، التي لابد وان تقود العرب الى التفكير بالعبور الى الاندلس ، فشجعهم للسير في هذا الاتجاه[١٤] .

ولم يكن طارق بحاجة الى تحريض جوليان ، لانه كان على علم تام باهمية العلاقات بين شمال افريقيا وشبه الجزيرة الآيبيرية ، وبخصب وغنى هذه المنطقة ، وخطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية . يضاف الى ذلك ، ان الاحداث في مدينة طنجة ذاتها كانت تسير بسرعة ، لان التوتر بدأ بالازدياد بين جنود الحامية والسكان المحليين ، ويعود السبب في ذلك الى ان الرجال المجندين في المدينة كانوا قد جلبوا من مناطق وقبائل مختلفة ، ومن المحتمل ايضا ان التوتر ازداد بسبب وجود السود الذين الفوا نسبة لا بأس بها في الحامية[١٥] .

وعلى اية حال ، فقد نقل طارق بن زياد اخبار المفاوضات التي دارت بينه وبين جوليان الى موسى بن نصير ، وربما لم يكتف جوليان

بمفاوضاته مع طارق ، بل توجه الى القيروان ، حسبما تشير الى ذلك بعض الروايات العربية ، في محاولة منه لاقناع موسى بسهولة فتح الاندلس ، وما يمكن ان يعود على العرب من جراء تنفيذ هذا المشروع[16] . وقد رحب موسى بما عرضه جوليان ، لانه كان بطبعه ميالاً الى الفتوح والجهاد في سبيل الله ، ولكنه اراد ان يتأكد من مدى اخلاص جوليان ، وتعاونه مع العرب ، فطلب اليه ان يقوم بقيادة سرية استطلاعية الى جنوب اسبانيا ، فقام جوليان فعلاً بهذه المهمة ، ورجع محملاً بالغنائم والسبي ، فتأكد لموسى انه جاد في تعاونه مع العرب ، وكراهيته للذريق وان نجاح الحملة يشير الى ضعف استعدادات القوط العسكرية ، فتشجع وقرر الاستمرار في المشروع من اجل تحقيق الفتح الكامل لشبه الجزيرة[17] .

ولم يكن موسى ليستطيع الشروع في عمل خطير كهذا دون أن يحيط القيادة العليا للدولة العربية الاسلامية علماً ، لهذا فقد استشار الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وكتب اليه يستأذنه في الفتح ، فتردد الخليفة ، وخشي عقبة المخاطرة بارواح المسلمين في ارض بعيدة ، فكتب الى موسى يأمره ان يختبرها بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين ، وفي هذا دليل على ان انجاز فتح الاندلس لم يكن عملاً ارتجاليا قصد منه الحصول على الغنائم والاسلاب ، كما يحلو لبعض الكتاب والمستشرقين ان يعللوا ذلك ، بل كان عملاً منظماً استشيرت فيه القيادة العليا للدولة ، ووافقت عليه بعد الاطمئنان على سلامة الاجراءات ، وضمان حماية ارواح الجند .

وتنفيذاً لامر الخلافة في زيادة الحيطة والحذر ، قرر موسى ان يرسل حملة استطلاعية من المسلمين انفسهم ، فأوعز الى طارق

بارسال ابي زرعة طريف بن مالك المعافري لهذا الغرض ، فبدأ طارق في تنفيذ هذا الامر في رمضان سنة ٩١هـ - / آب - ايلول ٧١٠ م ، حيث ابحر طريف الى الاندلس ، ومعه اربعمائة راجل ، ومائة فارس ، فنزلوا في ساحة المضيق المقابل لطنجة ، على جزيرة تسمى لاس بالوماس Las Palomas ، تقع في مقدمة مدينة طريف Tarifa الحالية - على الجانب الاسباني ، وهو المكان الذي اطلق عليه فيما بعد اسم قائد هذه الحملة ، طريف . وقد شن طريف ورجاله سلسلة من الهجمات على الساحل الجنوبي المقابل لسبتة ، شملت منطقة طريف ، والجزيرة الخضراء ، وغيرها من المناطق التي تقع في الجانب الاسباني من المضيق ، وعادوا سالمين ، مما يثبت ضعف المقاومة القوطية في المنطقة[18] .

بحث طارق بن زياد نتائج حملة طريف الاستطلاعية ، وارسل الى موسى في القيروان يخبره بما تحقق من نجاح ، فتشجع موسى ، وقرر الاستمرار بخطة الفتح ، وفي هذه المرة اختار القائد طارق بن زياد لهذه المهمة ، وهذا يؤكد بعد نظر موسى ، وسعة خبرته العسكرية ، لأن طارقاً كان من السكان المحليين الذين عرفوا ارض الاندلس معرفة وثيقة ، وهو الذي تولى جمع المعلومات عنها ، بالاوندن جوليان ، وبات خبيراً في هذه المسألة من كل جوانبها السياسية والعسكرية . ولم يكتف موسى بذلك ، بل عمد الى شد ازر طارق بأن ضم اليه هيئة من كبار رجال الجيش ، ليكونوا بمثابة مجلسه الاستشاري ومساعديه في ادارة المعارك ، ومن هؤلاء القادة ، عبد الملك بن أبي عامر المعافري ، وعامر اللخمي ، ومغيث الرومي ، والقائد مونوسة ، وغيرهم من كبار المحاربين العرب والسكان

المحليين . وتتفق معظم المصادر على ان جيش طارق الذي عبر به الى الاندلس كان يتألف من اثني عشر الف رجل[١٩] ، ومع هذا ، فهنالك روايات اخرى تشير الى مجموعتين مختلفتين : الاولى ، وتتألف من سبعة الآف رجل ، وهم الذين عبروا المضيق مع طارق في المرة الاولى ، وتضم المجموعة الثانية ، خمسة الآف رجل ، ارسلوا فيما بعد من قبل موسى بن نصير[٢٠] ، وضمت الحملة ايضا سبعمائة رجل من السود الذين ربما كانوا قد جندوا وجلبوا من قبل موسى وطارق في اثناء حملاتهم على السوس الاقصى ، ولقد كان لهؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام دور كبير في مساعدة طارق في الفتح[٢١] .

تضمن اتفاق موسى بن نصير مع جوليان ان يكون الاخير واصحابه أدلاء للمسلمين ، ومعينين لهم في اعمال الحملة ، كما تضمن ايضا ان يقدم جوليان السفن اللازمة لنقل الجنود الى الاندلس ، ولم يكن ذلك لعدم توفر سفن خاصة بالمسلمين ، فالاسطول العربي الذي باشر موسى ببنائه في تونس اصبح جاهزاً ونشطاً ، وقام بعدة حملات على الجزر المهمة في غرب البحر المتوسط ، لهذا فقد كان هذا الاسطول مراقباً وتحت انظار اعداء المسلمين ، ولا يمكن اخفاء تحركاته ، وكانت الخطة التي اتفق موسى بشأنها مع طارق ابن زياد ، هي مفاجأة القوط الغربيين بالانزال ، ولا يمكن ان يتم ذلك الا باستعمال سفن تجارية قليلة العدد تابعة الى جوليان ، وبذلك تكون الحركة في المضيق طبيعية ، ولا تثير اية ريبة ، كذلك فقد تم الاتفاق على ان يتم الابحار من مدينة سبتة ، وليس من طنجة ، لاحتمال وضع هذا الميناء الأخير تحت المراقبة من قبل القوط ، بعد عملية طريف الاستطلاعية .

ابحر طارق بن زياد من سبتة على راس المجموعة الاولى ، وذلك في رجب سنة ٩٢ هـ/ ٧١١ م . ومن المؤكد انه استفاد من المعلومات التي قدمها طريف بعد حملته الاستطلاعية في السنة السابقة ، ولا تشير المصادر الى اسم المكان الذي اراد طارق النزول فيه اولاً ، ومن المحتمل انه منطقة الجزيرة الخضراء ، التي تقابل سبتة ، حيث كان هذا المكان ، وما يزال ، هو المعبر الطبيعي القريب المستعمل لغرض الاتصال بين الجانبين ، ولكن يبدو ان القوط قد تنبهوا على الخطر الكامن في الشمال الافريقي ، لا سيما بعد عملية طريف ، فأكثروا من حراستهم ورصدهم لهذا المكان ، وعندما وصل طارق فوجيء بقوة من الاعداء ، حاولت ان تمنع نزوله ، فاضطر الى التخلي عنه ، والابحار ليلاً الى مكان آخر من الشاطيء يتميز بالوعورة ، حيث الصخرة التي تسمى Mons Calpe ،وعرفت بعد ذلك باسم جبل طارق ، وقد حاول تسهيل عملية الانزال على الصخور ، باستخدام المجاذيف وبراذع الخيول ، التي القيت على الصخور للتقليل من خطرها ، وبهذه الطريقة حقق انزالاً آمناً مفاجئاً ، ودون ان يتوقعه احد من الاعداء على الشاطيء[٢٢] .

وقد اختفت هذه المجموعة في الجبل مع طارق حتى الليلة التالية ، حيث رجع طارق بالمراكب لتعود ببقية رجال الحملة ، واشرف هو على عملية النقل من سبتة الى ان عبرت آخر مجموعة ، فعبر هو معها ايضاً ، وقد نفذت هذه الحركات في الليل ، واستغرقت اكثر من ليلة واحدة ، بسبب قلة المراكب ، التي كانت مستمرة في نقل الرجال بين الشاطئين ، الى ان هبط كل افراد الحملة بسلام على ارض شبه الجزيرة الآيبيرية[٢٣] .

وتجدر الاشارة الى ما يقال عن قيام طارق بن زياد بحرق السفن التي عبر عليها بعد نزوله الى الشاطىء ليقطع على جنوده خط الرجعة ، وليحفزهم على الاستبسال في القتال ، وكذلك خطبته المشهورة التي يقول فيها : « ايها الناس اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر ... » . لقد شكك العديد من الكتاب المحدثين في نسبة هذين العملين الى طارق ، لان معظم المصادر العربية القديمة لا تشير الى حرق السفن والخطبة ، يضاف الى ذلك ، ان حرق السفن يتنافى مع المبدأ السوقي العربي الاساسي ، وهو حماية ظهرهم ، وتأمين طريق الاتصال المباشر مع قاعدة الانطلاق الاولى ، التي هي في هذه الحالة شمال افريقيا . ان اسطورة حرق السفن لم تدون الا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، اي بعد عملية العبور بأكثر من ثلاثة قرون ، فهي لهذا عرضة للكثير من الريب ، اما بالنسبة للخطبة ، فان اسلوبها وفصاحتها لا يشجعان على نسبتها الى طارق ، الذي كان من السكان المحليين من شمال افريقيا ، ولا يستبعد ان يكون طارق قد القى خطبة على جنوده تحثهم على القتال ، ولكنها ليست بالتأكيد هذه الخطبة التي لحقها الكثير من الخيال والاضافة والتغيير على يد الكتّاب المتأخرين[٢١] .

بادر طارق بن زياد الى تدعيم نقاط الارتكاز التي تؤمن له اسباب المنعة والتفوق ، والاتصال المستمر بقاعدة انطلاقه بالبر الافريقي ، وكانت هذه السياسة هي التي سار عليها موسى بن نصير في معظم خططه الحربية ، حيث عمل على تجنب الهجمات الفاجئة التي قد تعرض عملياته العسكرية للفشل . فبعد استقرار الحملة على

جبل طارق ، ارسل كتيبة قوية بقيادة عبد الملك بن عامر المعافري لافتتاح حصن قرطاجنة ، الذي يقع الى الشمال الغربي من جبل طارق ، ويدعى الآن Torre de Cartagena [٢٥] ، كذلك تمت السيطرة على منطقة الجزيرة الخضراء ، التي اصبحت قاعدة عسكرية لحماية ظهر الجيش العربي الاسلامي . وقد اقيمت قاعدة امامية اخرى في منطقة طريف ، على المضيق المواجه للبر الافريقي . وهكذا تحققت الاهداف التعبوية الاولى للانزال الآمن ، والسيطرة على المضيق ، وحماية مؤخرة القوات الموجودة في الجانب الاسباني ، فضلاً عن تأمين خطوط الاتصال مع الجانب الافريقي ، التي كانت على درجة كبيرة من الاهمية ، وذلك لغرض وصول الامدادات المادية والبشرية ، التي يهيؤها القائد موسى بن نصير ، دون تعرض . وقد عهد طارق الى جوليان ومن معه من الجند بحماية المضيق ، لتأمين سلامة مواصلات المسلمين .

ونتيجة للتخطيط الدقيق الذي اتبعته القيادة العربية العليا برئاسة موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، لم تلق الحملة مقاومة تذكر على الارض الاسبانية ، لان لذريق ملك القوط ، كان مشغولاً في ذلك الوقت في الشمال الشرقي من البلاد للقضاء على احدى الفتن التي اثارها الباسك او البشكنس ، وكان هذا التمرد من القوة بحيث اضطر لذريق الى اخذ معظم جنوده معه ، فأصبحت مناطق البلاد الاخرى خالية ، لا سيما في الجنوب حيث استقرت القوة التي نزل بها طارق ، ومع هذا ، فقد حاولت قوة من العدو ان تعيق تقدم المسلمين ، لكنهم دحروها ، ولم ينج منها سوى رجل واحد ، استطاع الهرب والوصول الى لذريق لاخباره بانباء الهزيمة التي حلت في جنوب البلاد[٢٦] .

ترك لذريق في الحال الشمال الشرقي ، وزحف نحو الجنوب لمواجهة تقدم القوات العربية الاسلامية ، قبل ان تتوغل في البلاد . وقد حاول ان يوحد الصف الوطني ، وذلك بمصالحة افـراد اسرة غيطشة ، ليكونوا جميعاً يداً واحدة ، ولكن هؤلاء لم ينسوا ما حل بهم على يديه ، لذلك ظلوا على عدائهم له ، واعتقدوا ان مجيء العرب الى البلاد هو فرصة للتخلص من لذريق ، ومساعدتهم في تولي السلطة من جديد ، كذلك ظنوا ان العرب لم يأتوا الى هذه البلاد الا للحصول على الغنائم ، والرجوع ثانية الى الشمال الافريقي . وعلى اية حال ، فقد انضم هؤلاء الى لذريق ، وهم يتربصون الاحداث لينقضوا عليه في الوقت المناسب ، واستطاع لذريق ان يحتـل قرطبـة ، ليحول بـين المسلمين والاستيلاء عليها ، ومن ثم استعد للسير نحو الجنوب للقاء طارق وجنده .

بعـد ان أمن طارق خطوط مـواصلاتـه ، لم يبق في منطقـة الصخرة بل زحف نحو الغرب ، متخذاً المرتفعات الجنوبية الساحلية حامياً له من الشمـال ، كما اتخـذ الجزيـرة الخضراء ، وطريف ، قاعدتين لحماية مؤخرة جيشه ، ومن طريف واصـل زحفه بـاتجاه الشمال ، حتى اقترب من بحيرة الخندق ، لاخاندا (Lagunda de la Janda) ، في كورة شذونـة ، واستمر في سيـره حتى ادرك نهر البرباط الذي يخترق البحيرة ، فعسكر الى الجنوب منه ، وهكذا نجد ان فكر هذا القائد العسكري الفذ قد هداه الى اختيار هذا المكـان الملائم لجيشه قبيل بدء المعركة الفاصلة مع القوط ، فقد جعل البحيرة حاجزاً بينه وبينهم ، فحمى مجنبته اليمنى بها ، ومجنبته اليسرى بجبال سيرا دل رتـين (La Sierra del Retin) والبحر ، كمـا ترك

الطريق بينه وبين طريف والجزيرة الخضراء مفتوحا للامدادات وللتراجع اذا ما اضطرته الظروف لذلك[٢٧] ، وهذا يدل على عقلية عسكرية متوقدة ، وخطة تعبوية تضع في حساباتها احتمال الخسارة الى جانب احتمالات النصر ، ولاشك في ان طارقاً قد تمرس على هذا النوع من الخطط العسكرية الناجحة حينما كان الساعد الايمن للقائد موسى بن نصير في عمليات المغرب الاقصى .

ان اختيار طارق لهذا المكان قد حدد ساحة المعركة ، ولم يترك لخصمه سوى ان يقاتله في الجبهة التي تلائم خططه التعبوية ، ثم ابتدأ بعد ذلك بإرسال العيون والجواسيس لتقصي اخبار ملك القوط ، الذي توجه مسرعا الى الجنوب بعد سماعه بنزول المسلمين ، وقد عرف طارق بضخامة الجيش الذي يقوده لذريق ، وانه كان يتألف من اربعين الف رجل ، فيهم عدد كبير من الفرسان ، وكانت عدة هذا الجيش ضخمة جداً تضم عجلات كثيرة تحمل الامتعة والاسلحة . ويبدو ان القوط كانوا واثقين من النصر على جيش طارق ، نظرا لقلة عدد المسلمين ، فتشير الروايات الى وجود عدد من الدواب في جيش لذريق لا تحمل سوى الحبال المعدة لشد وثاق الاسرى من المسلمين[٢٨] ، ومع ذلك فان هذا الجيش لم يكن يمتلك الحماس والتماسك اللذين كانا يتمتع بهما الجيش العربي الاسلامي ، بسبب اختلاف الاسرة المالكة السابقة وانصارها مع لذريق ، ولان عدداً كبيراً من جند القوط كانوا من العبيد المجندين بالاكراه ، الساخطين على حكم القوط والمتمنين زواله .

بعد وصول هذه المعلومات الى طارق ، ارسل الى القائد العام موسى بن نصير بطلب الامدادات ، واخبره بنجاح عملية العبور ، والسيطرة

على المضيق ، وتأمين طرق المواصلات ، فوجه اليه موسى بن نصير بخمسة آلاف من خيرة جنده ، فيهم عدد كبير من الفرسان ، وفي هذه المرة نقلت هذه القوة دفعة واحدة على سفن الاسطول العربي ، الذي استخدمه موسى ، حيث لم يعد هناك مبرر لاستخدام سفن جوليان التجارية ، لان المضيق اصبح بيد القوات العربية الاسلامية ، التي اخذت تتنقل فيه بحرية وامان . ومما يدل على يقظة موسى بن نصير ، وقدرته على تصريف الامور بسرعة فائقة ، انه بعث هذه الامدادات تحت قيادة طريف بن مالك المعافري ، الذي قاد اول سرية استطلاع عربية في ارض الاندلس ، ليضمن تجنب اي تأخير قد ينجم عن عدم المعرفة بطرق البلاد ومسالكها . ان وصول هذه القوة الجديدة بسرعة الى ارض المعركة يدل على سهولة وانتظام خطوط مواصلات الجيش الفاتح ، وان التنسيق كان على درجة عالية بين القيادة العليا المتمثلة بموسى بن نصير ، والقائد الميداني طارق بن زياد ، وان الاخير لم يكن في حالة عزلة بسبب ما توهمته بعض الروايات من قصة احراق السفن ، والخطبة التي يشير فيها الى انقطاع جنده عن مراكز انطلاقهم ، ووقوعهم بين البحر والاعداء[29] .

حينما وصل جيش القوط الى ارض المعركة ، لم يكن له الخيار الا ان يعسكر الى الشمال من وادي البرباط امام قوات طارق ، وذلك جنوب مدينة شذونة ، بجوار قرية فيخير دي لافرونتيرة ، وقد التقى الجيشان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ/ ١٩ تموز سنة ٧١١م ، ودارت بينهما معركة استمرت ثمانية ايام ، وكان طارق قد قدم جنده من السود ، الذين سبقت الاشارة اليهم ، بين يدي جيشه ، ليتلقوا بما عرف عنهم من الصبر والثبات صدمة الجيش القوطي الاولى ،

وكان لهؤلاء اثر عظيم على معنويات القوط الذين فزعوا من صورهم الهائلة وجرأتهم وشجاعتهم في القتال(٢١). وقد اظهر فرسان القوط ثباتاً في اول المعركة. لكن ضغط الجيش العربي الاسلامي، ادى الى تراجع جناحي الجيش القوطي، فانكشف قلب الجيش، وانهار خط دفاعه، واضطر الى التراجع، وقد اضطرب نظامه، ولاذ من بقي منه بالفرار. وقد قسم طارق جيشه على مجموعات متعددة لملاحقة ومطاردة القوات القوطية التي فقدت اتزانها، وانهزمت باتجاهات متعددة نحو المستنقعات والاماكن التي تزخر بها المنطقة. وقد قتل عدد كبير جداً من القوط، ولكن لم يعثر على اثر للذريق، ومن المحتمل انه غرق في النهر، اما قوات طارق فقد استشهد منها نحو ثلاثة الاف رجل(٢٢)، وهذا مما يشير الى ضراوة المعركة وشدتها.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والبحوث التي كتبت بشأن هذه المعركة، فان موقعها الدقيق غير معروف تماماً، ولا يمكن الجزم في ضوء المعلومات المتيسرة فيما اذا كانت قد حدثت شمال نهر البرباط أم جنوبه، ولكن معركة واسعة النطاق كهذه، عرفت بأسماء مختلفة، مثل معركة البحيرة، ووادي بكة، ووادي لكة، ووادي البرباط، وشريش، والسواقي، والسواني، لا يمكن ان تحدث في مكان محدد واحد، بل من المحتمل انها دارت وتشعبت في كل هذه المناطق التي تقع فعلاً في كورة شذونة جنوب غرب اسبانيا، فهذه المعركة في الحقيقة هي معركة كورة شذونة بأسرها(٢٣).

بعث طارق بنبأ انتصاره على جيش القوط الى موسى بن نصير، الذي ابلغ بدوره الخلافة في دمشق بهذا النصر المبين. وقد ازدادت قوات طارق بعد هذه المعركة، نتيجة لسماع السكان المحليين في

شمال افريقيا بانباء الانتصارات التي تحققت في معركة كورة شذونة ، فعبر قسم كبير منهم الى الجانب الاسباني ، حتى اقبلوا على طارق من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من قوارب ومراكب ، واخذوا يستقرون في المناطق السهلة من البلاد ، وتضخم جيش المسلمين الى حد يصعب معه تقديره بعد هذه الواقعة ، لذلك قرر طارق ان يتصرف بسرعة للقضاء التام على قوة القوط ، فسار الى مدينة استجة التي تجمّع فيها قسم من الجيش القوطي ، وضرب عليها الحصار ، وقد ابدت حامية المدينة مقاومة مستميتة للدفاع عنها ، وبعد معركة قاسية ، حقق المسلمون نصراً آخر على الرغم من جرح واستشهاد الكثير من رجالهم[٢٣] .

وبعد هذه المعركة ازدادت خشية القوط الغربيين جداً من وجود المسلمين ، فلقد كانوا يعتقدون اول الامر ان هدف طارق هو الحصول على الغنائم ثم الرجوع من حيث اتى ، لكنهم عندما رأوا انه يتقدم بسرعة ، هجروا مناطق السهول من البلاد والتجأوا الى الجبال وبقية المدن الحصينة الاخرى ، ولقد اصبحت حالتهم تعيسة جداً نتيجة المنازعات والمشاكل التي اعقبت هزيمتهم في كورة شذونة وموت لذريق[٢٤] ، فعمد كل امير منهم الى الاستيلاء على ناحيته والاستقلال بها . ولمنع القوط من اية محاولة لتوحيد صفوفهم ، قرر طارق ، آخذاً بنصيحة جوليان ، ان يزحف الى طليطلة ، عاصمة القوط الغربيين ، وفي الوقت نفسه عهد بقيادة حملة قوية تتألف من سبعمائة فارس الى مغيث الرومي ، بغية التوجه الى مدينة قرطبة وافتتاحها ، وقد استطاع مغيث ان ينجز مهمته ويسيطر على المدينة بعد حصار دام نحو ثلاثة اشهر[٢٥] . وهكذا تم تأمين السيطرة على جنوب البلاد ،

لحماية ظهر القوات التي يقودها طارق باتجاه الشمال .

اما طارق فقد وصل الى طليطلة بسهولة ، فوجدها خالية من القوات القوطية ، التي آثرت الانسحاب الى مدينة اخرى خلف الجبال ،اسماها المسلمون مدينة المائدة ، وهي قلعة هنارس الحالية ، التي تقع الى الشمال الشرقي من مدريد ، وقد لاحق طارق فلول المنهزمين الى هذه المنطقة ، حيث عثر على كنز ثمين ، وهو عبارة عن مذبح كنيسة طليطلة ، الذي حمله الهاربون من القساوسة الى هذا المكان ، فاطلق عليه المسلمون اسم (المائدة) . وواصل طارق ملاحقته للهاربين الى مدينة وادي الحجارة ، لكنه لم يستمر الى ابعد من هذه المناطق ، بل عاد الى طليطلة ، وذلك في السنة ٩٣ هـ (المبتدئة بتشرين الاول ٧١١م) ، وقضى فصل الشتاء هناك[٣٦] .

٢ ـ الاسهام المباشر في انجاز الفتح :ـ

بعد وصول الفتح الى المرحلة التي اشرنا اليها ، واستقرار طارق بن زياد في مدينة طليطلة ، كتب الى القائد موسى بن نصير يطلب منه القدوم الى الاندلس بإمدادات جديدة لاستكمال الفتح ، لان جيش المسلمين الذي يقوده طارق كان قد انهك نتيجة للمعارك الحربية التي خاضها في ظروف طبيعية غير ملائمة ، واصبح بعيداً عن خطوط مواصلاته في الجزيرة الخضراء وشمال افريقيا ، ولم يكن بيد المسلمين من المعاقل الكبيرة في البلاد باستثناء طليطلة ، الا مدينة قرطبة التي تقع في الجنوب ، وكانت شراذم القوط المنتشرة في البلاد تستطيع ان تهاجم الحاميات العربية الصغيرة المتفرقة ، لهذا لم يكن باستطاعة طارق القيام بعمل كبير آخر يتم به افتتاح كل اجزاء شبه

وتشير بعض المصادر الى ان موسى كتب الى طارق بعد وصول انباء انتصار طارق على القوط في معركة كورة شذونة ، بالانتظار في جنوب البلاد ، وان لا يتعدى مدينة قرطبة حتى يلحق به[٣٧] ، ولكن طارقاً لم ينفذ هذه التعليمات ، وواصل سيره ليضمن القضاء على جيوب المقاومة القوطية ، ويسيطر على عاصمة البلاد ، من قبل ان يتجمعوا فيها ، ويصبحوا قوة لا يمكن التغلب عليها ، وربما كان تصرف طارق هذا مخالفاً للقوانين العسكرية ، لكنه كان القائد الميداني الذي يعيش الاحداث ، ويرى الامور بشكل أوضح مما يمكن ان يراها القائد العام في القيروان . وقد نجح طارق فعلا في مسعاه ، واستولى على عاصمة القوط الغربيين ، لكنه لم يستطع ، كما اسلفنا ، الاستمرار بالفتح وكان لا بد له من قوات اخرى ، فارسل الى موسى قائلاً : «ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث»[٣٨] .

ويبدو ان طارقاً قد افضى بمخاوفه الى جوليان ، الذي كان في الجزيرة الخضراء ، من احتمال تجمع القوط وقيامهم بعمل عسكري ازاء المسلمين ، ورجاه ان يكتب الى موسى ليعجل بالعبور الى الاندلس ، وقد احس جوليان فعلا ، بحكم موقعه ، ورجاله المنتشرين في كل ناحية ، واختلاطهم باهل البلاد ، بالخطر الذي كان يهدد جيش المسلمين ، وحاجتهم الماسة الى امدادات جديدة ، فنقل هذا التصور الى القائد العام موسى بن نصير ، الذي ابتدأ بالتهيؤ للعبور الى الاندلس ، ولهذا فان قرار موسى بالاسهام المباشر في الفتح كان قرارا عسكرياً بحتاً ، لدعم الفتوح التي انجزها طارق ، ولتوطيد الامور في المناطق المفتوحة ، ولم يكن لهذه الخطوة التي اتخذها اية مبررات

اخرى ، كما تحاول ان تصور ذلك بعض الروايات ، كالحسد ، او منافسة طارق على الفتح والحصول على الغنائم ، لان طارقا كان احد قادة موسى ، وما يفتتحه من بلاد فهو باسم اميره ، ولمصلحة الدولة العربية الاسلامية التي ينتمي اليها الاثنان ، يضاف الى ذلك ، ان موسى بن نصير ، كان اعظم من ان يحسد أحد رجاله ، وهو القائد الكبير الذي حرر الشمال الافريقي باسره ، وجاهد في سبيل نشر مبادىء الحق والعدل ، التي حملها العرب الى الامم المختلفة . ولهذا فان عبور موسى بن نصير الى الاندلس لا يمكن ان يفسر الا على ضوء المصلحة العامة التي اقتضت تثبيت الفتح وتعزيزه ، ونجدة الجنود المسلمين الذي عبروا في الحملة الاولى .

ابحر موسى بن نصير الى الاندلس في رمضان سنة ٩٣هـ/ حزيران ـ تموز ٧١٢ ، وكان يرافقه جيش عربي كبير يقدر عدده بنحو ثمانية عشر الف مقاتل ، وكان معظم هؤلاء من القبائل اليمنية ، وبقية العشائر العربية الاخرى التي كانت موجودة فعلاً في شمال افريقيا ، لاسيما في القيروان . وضمت الحملة أيضا اعداداً كبيرة من رجال قريش البارزين ، الذين كانوا في مناصب القيادة ، فضلا عن الاداريين والفقهاء ، وبقية القادة المحنكين ، من امثال محمد بن اوس الانصاري ، وحبيب بن ابي عبيدة الفهري ، وعبد الله بن ابي مغيرة بن ابي بردة ، وعياش بن أخيل ، وحنش بن عبد الله الصنعاني ، وعبد الجبار بن ابي سلمة الزهري ، وعلي بن رباح اللخمي ، وابناء موسى نفسه ، باستثناء عبد الله الذي تخلف في القيروان ليتولى مسؤولية ولاية افريقية[٢١] . ويعد الجيش العربي الذي رافق موسى بن نصير الى الاندلس ، اكبر مجموعة عربية تدخل

الى هذه البلاد ، وقد عرفوا بطالعة موسى ، وستكون لهؤلاء الصدارة بين مسلمي الاندلس لمدة طويلة ، حيث شكلوا مع المجموعة التي دخلت مع طارق بن زياد كتلة واحدة سميت بالبلديين ، اي اهل البلد وفاتحيه ، وسيكون لهم اثر عظيم وحاسم في سير الاحداث في الاندلس في السنوات التي اعقبت الفتح .

كان ابحار موسى بن نصير الى البر الاسباني من منطقة تبعد نحو ستة اميال عن سبتة ، بالقرب من قرية تسمى بليو نش ، ونزلت الحملة في الجزيرة الخضراء ، عند موضع قريب من جبل طارق سمي بمرسى موسى ، ويلاحظ ان موسى اهمل النزول على الصخرة ، حيث لم يعد هناك خوف من عبور المضيق الذي اصبح في يد القوات العربية . وقد قسم موسى جيشه على وحدات عديدة تبلغ اكثر من عشرين وحدة ، كل وحدة تحت راية ، وكانت اثنتان من هذه الرايات تحت قيادة موسى المباشرة ، بينما تولى ابنه عبد العزيز قيادة راية ثالثة . اما بقية الرايات ، فكانت بقيادة قواد من قريش ، ومن مختلف القبائل العربية الاخرى ، وكانت الحملة تضم ايضا عشائر اخرى دون ان تكون مصنفة تحت راية معينة . ويبدو ان غرض موسى من تقسيم جيشه على وحدات تنضوي تحت رايات لا تتخذ التصنيف العشائري اساسا لها ، يرجع الى عدم وجود اعداد كافية من الرجال في كل عشيرة ليكونوا الوحدات الاعتيادية ، تبعاً للتقليد العربي المتبع في مثل هذه الحالات ، وبهذه الطريقة اصبح بامكان موسى ضم جماعات عديدة من مختلف العشائر ليقاتلوا بقيادة اي قائد يعينه ، فضلاً عن ذلك ، فقد استطاع موسى بواسطة هذه الطريقة ان يستخدم عددا كبيرا من السكان المحليين من شمال افريقيا في هذه

الحملة ، وذلك بضمهم تحت لواء هذه الرايات المختلفة[٤٠] .

عسكرت الحملة في الجزيرة الخضراء لعدة ايام من اجل الراحة ، واتخاذ الاستعدادات العسكرية ، وقد خف جوليان لاستقبال موسى ، الذي امر بعقد مجلس حربي للتشاور ، حضره جميع القادة ، بشأن الخطة التي يجب اتباعها في اتمام الفتح ، وهذا الاجراء يدل دلالة قاطعة على ان غرض موسى الاول من العبور كان لانجاز الفتح وليس حسدا لطارق او غضبا عليه ، والا لسار مباشرة الى طليطلة ليلقى طارقا ويحاسبه على ما فعل ، كما تذهب الى ذلك بعض الروايات[٤١] . وقد اتفق الجميع ان يبدأوا بمنطقة اشبيلية ، وبقية الاجزاء الغربية من البلاد ، التي لم تفتتح بعد من قبل طارق بن زياد ، وقبل ان يغادر موسى الجزيرة الخضراء ، امر بارساء الحجر الاساس لبناء مسجد هناك تخليدا لذكرى حملته هذه ، سمي بمسجد الرايات[٤٢] .

اعتمدت خطة موسى العسكرية على تأمين خطوط مواصلات المسلمين بين الجزيرة الخضراء ، والقوات المتقدمة نحو الشمال . وكذلك حماية الجناح الايسر لطارق بن زياد ، وتدعيم قواعد الفتح المتقدمة ، وتشتيت قواد العدو باشغالها في جبهات عديدة بقوات المسلمين الضاربة[٤٣] ، لهذا فقد تقدمت الحملة نحو مدينة شذونة ، ثم زحفت شمالا الى قرمونة ، التي كانت مدينة قوية ومستعدة للصمود امام حصار اية قوة معادية ، ولكن موسى تمكن من افتتاحها بوساطة حيلة حربية ، حيث ارسل اليها بعض اتباع جوليان ، الذين اظهروا لاهل المدينة على انهم اصدقاء جاؤوا فرارا من الجيش العربي ، فسمح لهم القوط بدخول المدينة ، ولكن ما ان حل الليل

حتى فتح هؤلاء الابواب لجيش موسى ، فهجمت القوات العربية على حراس المدينة وافتتحوها عنوة . وبعد ذلك تقدم موسى الى قلعة رعواق ، فاستولى عليها ، وبهذا اصبحت خطوط مواصلات الجيش العربي آمنة من الجزيرة الخضراء الى قرطبة ، لوقوع مدن الجزيرة ، رشذونة ، وقرمونة ، ورعواق ، واستجة ، وقرطبة ، في يد المسلمين ، وبذلك تهيأ لموسى بن نصير ان يتوجه نحو الغرب ، ليفتتح مدينة اشبيلية ، التي كانت تعد في ذلك الوقت من اكبر مدن شبه الجزيرة بعد طليطلة .

وتعد اشبيلية ايضا نقطة التقاء للطرق المهمة في جنوب شبه الجزيرة الآيبيرية ، لاسيما تلك التي تربط الجزيرة الخضراء بداخل البلاد ، لهذا فان السيطرة على هذه المدينة تعزز المراكز الدفاعية للقوات العربية ، وتحمي ظهرها في حالة تقدمها نحو الشمال والشمال الغربي . ولقد قاومت اشبيلية هجوم المسلمين لعدة اشهر ، لكنها افتتحت اخيرا عنوة ، وفرت حاميتها متوجهة الى مدينة باجة في الغرب ، وترك موسى قوة من جنده للدفاع عن المدينة ، ثم غادرها لتحقيق اهدافه العسكرية الاخرى ، التي يأتي في مقدمتها الاستيلاء على مدينة ماردة[٤٤] .

وتشير بعض الروايات الى ان موسى لم يتجه مباشرة الى ماردة ، بل لاحق فلول المنهزمين غربا الى نبلة ، واكشونبة ، وباجة ، في جنوبي البرتغال الحالية[٤٥] ، ويمكن الركون الى هذه الروايات ، لانها تتفق مع خطة موسى العسكرية التي تهدف الى حماية وتأمين الخطوط الخلفية لمعسكره ، قبل التقدم نحو الشمال . وبعد ان اكمل موسى افتتاح كل من نبلة ، واكشونبة ، وباجة ، سار باتجاه ماردة ،

فاتحا لقنت في الطريق . كانت ماردة مدينة واسعة ذات قوة كبيرة ، واسوار منيعة ، وابراج عالية . وقد اتخذها فلول القوط ملجأً لهم بسبب بعدها عن طريق الجيش الفاتح ، وصمموا على الدفاع عنها بقوة ، وعدم الاستسلام للمهاجمين ، فضرب عليها موسى الحصار ، ولكن جنود القوط خرجوا من المدينة وصدوا الهجوم موقعين خسائر كبيرة بين صفوف المسلمين ، وقد اضطر القائد موسى الى نصب كمائن كثيرة ، اخفيت في مقالع الصخور القريبة من المدينة ، واستطاعت هذه الكمائن ان تنزل ضربات قوية بحامية المدينة ، كلما حاولت الخروج لمهاجمة الجيش المحاصر لها ، الامر الذي اضطرها الى البقاء محصورة في داخل المدينة .

ولما استمر الحصار حاول موسى هدم اسوار المدينة باستخدام آلة من آلات الحصار تدعى بالدبابة ، حيث امر بعمل «دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها ...» [٤٦] . والظاهر ان آلة الحصار هذه كانت عبارة عن هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد او اللبود من الجوانب لحماية الجند الذين يعملون تحته ، وكانت تتحرك على بكرات او اسطوانات خشبية ، فتدفع الى الأمام حتى تلتصق بالاسوار ، ويبدو انها صنعت في موقع الحصار ، بعد ان طال انتظار موسى من امكانية تسليم المدينة[٤٧] ، واخيرا ، وبعد مقاومة دامت عدة اشهر ، استسلمت المدينة في شهر شوال سنة ٩٤هـ/ تموز ٧١٢ م ، وقد رافق هذا الاستسلام عقد معاهدة بين الطرفين ، تعهد العرب بموجبها بعدم التعرض بالاذى للسكان المحليين الذين يبقون في المدينة ، او يغادرونها الى اي مكان آخر ، كما ضمنت لهم حرياتهم ، وكنائسهم ، واداء طقوسهم الدينية ، كما هو

معروف عن التسامح العربي مع الشعوب التي يحررونها ، ومن جهة اخرى ضمنت هذه المعاهدة للمسلمين ممتلكات الذين قتلوا في الحرب ، والهاربين من القوط الى منطقة جليقية في الشمال الغربي من البلاد[٤٨]

وفي الوقت الذي كان فيه موسى بن نصير يحاصر مدينة ماردة ، اندلع تمرد في اشبيلية ، وقد ايدت هذا التمرد عناصر قوطية جاءت من مدينتي نبلة وباجة ، فهاجموا الحامية العربية في المدينة وقتلوا ثمانين رجلاً ، اما بقية افراد الحامية ، فقد فروا نحو معسكر موسى لتحذيره من الامر . وبعد الاستسلام النهائي لمدينة ماردة ، قاد عبد العزيز بن موسى حملة الى اشبيلية ، وتمكن من اعادة افتتاحها بسهولة ، ثم سار بعد ذلك الى نبلة وباجة لتقوية حاميتهما ، وقد اسندت قيادة حامية باجة الى قائد عربي مشهور هو عبد الجبار بن ابي سلمة الزهري ، الذي كان يتولى قيادة ميسرة جيش موسى بن نصير[٤٩] . وقد عاد عبد العزيز الى اشبيلية ، ومن ثم الى ماردة ، حيث تولى القيادة العامة لكل الاراضي المفتوحة في هذه المنطقة .

توجه موسى بعد شهر من افتتاح ماردة الى مدينة طليطلة ، وقد خرج طارق وقواده للترحيب به ، ويقال ان اللقاء بين الاثنين تم في مكان يدعى (المعرض) بين نهري تاجة والتيتار ، قرب طلبيرة غربي طليطلة ، وقد عاتب موسى قائده على عدم تنفيذ اوامره بالتوقف في قرطبة لحين وصوله اليه ، ولكن طارقا كما يبدو ، استطاع ان يقنع موسى بوجهة نظره ، ويبرر ما قام به من اجراء عسكري ، ساعد في القضاء السريع على بقايا القوط ، والاستيلاء على عاصمتهم ، الامر الذي ادى الى توفير المناخ الملائم للمسلمين في الاستقرار في المناطق

المفتوحة . ويدل على رضا موسى واقتناعه بتصرف طارق ، التفاهم المتبادل الذي ساد العلاقة بين القائدين ، والتعاون المشترك بينهما خلال العمليات العسكرية المقبلة(٥٠) .

والحقيقة ان التعاون بين القائدين كان سمة بارزة لعمليات فتح الاندلس ، وان الاثنين كانا يعملان بالتنسيق منذ نزول طارق على ارض شبه الجزيرة الآيبيرية . وقد لاحظنا الاتصالات المستمرة بين القائدين ، وكيف ان طارقاً كان يعلم موسى بكل ما يستجد من ظروف سواء عن طريق جوليان في الجزيرة الخضراء ، او بشكل مباشر ، وكان موسى يدرك نوايا طارق الحقيقية ، واخلاصه في العمل لنشر الدين الاسلامي ، وانجاز الفتح . وقد عبر احد المؤرخين عن هذه الحقيقة حين اشار الى عبور موسى بن نصير الى الاندلس ، وفرحته بما حل من نصر لقائده طارق بقوله : « ... ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الى الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له : ياطارق ، لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من ان يبيحك الاندلس ، فاستبحه هنياً مرياً ، فقال له طارق : ايها الامير ، والله لا ارجع عن مقصدي هذا مالم انته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي ...»(٥١) ، ويشير هذا النص الى عظم تقدير موسى لجهود طارق ، وانه لم يغمطه حقه في الفتح ، او يقلل من شأنه ، بل اعترف بمكانته ، وتقدير الخلافة له ، وتفهم حقيقة الاسباب التي جعلته يؤجل تنفيذ امره له بالتوقف في قرطبة .

مضى القائدان الى طليطلة حيث تدارسا امر الفتح وما ينبغي ان يقوم به المسلمون بعد ذلك من عمليات حربية اخرى . وقد تم خلال فصل الشتاء الذي قضاه موسى في طليطلة ، ارسال وفد الى دمشق

يتألف من مبعوثين مهمين ، هما مغيث الرومي ، وعلي بن رباح اللخمي ، وكانت مهمتهما هي نقل اخبار الفتح الى الخليفة الوليد بن عبد الملك[52] . وفي بداية ربيع عام ٧١٤م/ ٩٤هـ تحركت القوات المشتركة لموسى وطارق نحو الشمال الشرقي ، فافتتحت مدينة سرقسطة والمناطق المجاورة لها واستمرت في التقدم في البلاد[53] . وقد تمت السيطرة على كل من مدن طركونة ، وبرشلونة ، ولاردة ، ووشقة ، ولكن لا توجد في مصادرنا تفاصيل عن هذه الفتوح ، باستثناء مدينة وشقة ، فقد دخلت في حوزة المسلمين بعد ان ابرموا معاهدة صلح مع اهلها[54] . وتشير بعض الروايات الى عبور موسى بن نصير لجبال البرت (البرنية) ، وتوغله داخل فرنسا حتى نهر الرون ، كما يقال ايضا انه اراد ان يكمل زحفه عبر اوربا حتى يصل الى القسطنطينية عن طريق الغرب[55] ، ولكن لم يرد لهذه الفتوح ذكر في بقية المصادر ، لا سيما الحوليات المسيحية المعاصرة ، لذلك لا يمكن تصديق مثل هذه الخطة الخيالية التي اشار اليها بعض المؤرخين العرب ، اعتمادا على الفتوح الهائلة التي حققها موسى ، والنصر الكبير الذي رافقه طيلة حياته .

اما بقية انجازات موسى بن نصير في مجال تحرير الاجزاء الشمالية والشمالية الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية ، فهي تتلخص في خطته العسكرية التالية التي حاول فيها اقتسام العمل مع طارق بن زياد . فبعد سقوط مدينة سرقسطة وفتح الجزء الاكبر من منطقة الشمال الشرقي ، قرر موسى بن نصير ان يفتتح مناطق قشتالة القديمة ، فقسم قواته على قسمين ؛ اسند قيادة الاول منهما الى طارق بن زياد ، اما الثاني ، فظل تحت امرة موسى نفسه . ومضى

طارق بمحاذاة الجهة الشمالية لوادي نهر الابرة ، حيث هاجم منطقة الباسك . ثم سار ففتح اماية واسترقة وليون[٥٦] وزحف موسى ببقية الجيش الى الجنوب من وادي الابرة ، حيث افتتح حصن بـاروس في محافظة بلد الوليد الحالية ، ثم تقدم الى (لك) ، ومن هنا باشر بارسال عدة حملات صغيرة الى المناطق المجاورة حتى صخرة بـلاي على المحيط الاطلسي . وفي اثناء هذه الفتوح كان كل من موسى بن نصير وطارق بن زياد يقوم بوضع حاميات اسلامية في المناطق المحررة . وقد عهدت احدى هذه الحاميات في مدينة خيخون ، على ساحل المحيط الاطلسي ، الى القـائد منـوسة ، الذي كـان يـرافق حملة طارق بن زياد[٥٧] .

ويحتمل ان تكون فتوحات موسى بن نصير قـد غطت منـاطق اخرى فضلاً عن جليقية والاشتوريش في الشمال الغربي من شبـه الجزيرة الآيبيرية ، فهناك على سبيل المثال ستة مدن تحمل اسم موسى بن نصير ، تقع في القسم الشمالي من البرتغال ، ولهذا السبب ، فان فتوح موسى لابد من ان تكون قد امتدت الى هذا المكان[٥٨] . وعلى اية حـال ، فلقـد تمكن مـوسى وطارق من تحـريـر معـظم جليقيـة والاشتـوريش ، وتعقبا الفلول الاخيـرة للقـوط الغـربيـين ، الذين اضطروا الى الفرار حتى جبال كانتبرية ، وبعد هزيمة هذه البقايا ، اعتقد القائدان بانهما قد انهيا المقاومة القوطية ، وانه لا حاجة لهما بتتبع الاعداد الضئيلة الباقية من المنهزمين[٥٩] .

لم تقتصر قيادة الحملات العسكرية لافتتاح الاندلس على موسى بن نصير وطارق بن زياد ، بل عمد القائد موسى الى ارسال حملات صغيرة اخرى بقيادة بعض ابنائه الى جهات متعددة من شبه الجزيرة

الآيبيرية ، لا سيما في الجنوب والجنوب الشرقي . فقد توجه عبد العزيز بن موسى ، واخيه عبد الاعلى الى هذه المناطق ، وكان ذلك في الاغلب بعد سقوط مدينة اشبيلية ، عندما اتجه موسى نفسه الى الغرب . فاستطاع عبد الاعلى ، وربما كان ذلك بمساعدة اخيه عبد العزيز ، ان يفتتح كل من مالقة والبيرة[٦٠] ، ثم توجه عبد العزيز بعد ذلك الى شرق شبه الجزيرة ، حيث تركزت المقاومة القوطية في هذه المنطقة في كورة تدمير ، التي اسماها المسلمون بهذا الاسم نسبة الى اميرها الدوق تدمير theodemir . التقى عبد العزيز بحاكم هذه المقاطعة قرب مدينة اوريولة ، وكان هذا الاخير رجلاً حازماً وذا خبرة عظيمة في تقدير الامور ، فقاوم لمدة قصيرة هجوم الجيش العربي ، لكنه توصل اخيرا الى عقد معاهدة صلح مع عبد العزيز في رجب عام ٩٤هـ/نيسان ٧١٣ م[٦١] .

وبموجب هذه المعاهدة التي ذكر تفاصيلها المؤرخون العرب ، حصل تدمير على شروط مناسبة جدا للصلح ، فقد اعترف به العرب حاكما على سبع مدن تقع كلها ضمن منطقته كما احتفظ بادارته الداخلية لهذه المدن ، وفي مقابل ذلك ،كان عليه ان يدفع جزية سنوية تقدر بدينار ذهبي واحد ، مع كميات معلومة من القمح والشعير ، والخل ،والعسل ،والزيت ،لكل فرد حر من افراد رعيته ، اما العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية ، وقد وافق تدمير ايضا على الا يقوم احد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة ، او الاخلال بشروطها ، والا يؤووا للمسلمين آبقا ولا عدوا ، ولا يكتموا عنهم خبرا يتعلق باعدائهم ، وبالمقابل فانهم لن يقتلوا ولن يُسبوا ، او يُجردوا من ممتلكاتهم ، او يفرق بينهم وبين اولادهم ونسائهم ،وسوف يسمح

لهم بممارسة شعائر دينهم ، ولن تحرق كنائسهم[61] .

وتعد هذه المعاهدة من المعاهدات الفريدة في تاريخ الفتوحات العربية الاسلامية ، لانها وصلت الينا كاملة ، وهي تشير بصراحة الى مدى التسامح الذي تميز بـه العرب ازاء الشعـوب المحررة ، واحترام حقها في ادارة شؤونها الداخلية ، وفي العيش بحرية ضمن المجتمع الاسلامي الذي اعقب الفتح . وتشير هذه المعاهدة ايضا الى سياسة موسى بن نصير التي كانت تهدف الى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في ادارتها بعد الفتح ، وكانت هذه السياسة تنسجم مع ظروف مـوسى العسكريـة ، حيث لم يكن معه مـا يكفي من القوى البشرية للهيمنة على كل شبه الجزيرة وادارتها بشكل مبـاشر.لهذا فضل هذه السياسة التي تمكنـه من وضع حـامية صغيـرة في كل مدينة ، وترك ادارة شؤونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخل في النظام الاداري للبلاد[62] .

وفي الوقت الذي كان فيه موسى منهمكاً في انجاز افتتاح المناطق الشمالية من شبه الجزيـرة الآيبيريـة ، وصلت انباء مـا حققه من انتصارات الى دمشق عن طريق الوفد الذي ارسـل من طليطلة الى الخليفة الوليد الاول . وكانت كتب موسى قد ابطأت في الوصول الى دمشق ، نتيجة انشغاله بمحاربة القوط ، وتوطيد الفتح في الاندلس ، فازداد قلق الخليفة على المسلمين ، وكثرت الشائعات حول موسى ، ومدى ما حققه من انجازات . وتزعم احدى الروايات ان وصول الوفد الى دمشق تصادف مع وقت صلاة العصر ، حيث سمع احد اعضاء الوفد ، وهو علي بن رباح اللخمي ، بان القاضي يتحدث في المسجد الجامع عن موسى بن نصير ، ويشكك في موقفه ، عندئذ اعتلى علي بن

رباح المنبر ، وخطب في الناس قائلاً : « ايها الناس الله الله في موسى ، والدعاء عليه ، والله ما نزع يدا من طاعة ، ولا فارق جماعة . وانه لفي طاعة امير المؤمنين ، والذب عن حرمات المسلمين ، والجهاد للمشركين ، واني لأحدثكم به عهداً ، وما قدمت الآن الا من عنده ، وان عندي خبره ، وما افاء الله على يده لامير المؤمنين ، وما امد به المسلمين ، ما تقر به اعينكم ، ويسر به خليفتكم »[٦٤] .

ولما بلغ الخليفة الوليد الاول انباء وصول علي بن رباح ومغيث الرومي ، وما حدث في المسجد ، اسرع في طلبهما ، وقال لعلي بن رباح ما وراءك ؟ فقال كل ما تحب يا امير المؤمنين ، تركت موسى بن نصير في الاندلس ، وقد اظهره الله ونصره ، وفتح على يديه ما لم يفتح على يد احد ، وقد اوفدني الى امير المؤمنين في نفر من وجوه من معه . ثم سلمه رسالة موسى ابن نصير ، فقرأها الوليد وخر ساجدا شاكراً الله على نصره[٦٥] .

وعلى الرغم من هذه الصورة المؤثرة التي ترسمها هذه الرواية لوصول الوفد ، واستقباله من قبل الخليفة ، يبدو ان الوليد الاول لم يغتر كثيراً بهذه الانجازات ، وخشي من النتائج التي ستترتب على هذه الفتوح الواسعة ، نتيجة لتوغل موسى البعيد في ارض الاعداء ، وادرك بان الحفاظ على هذه الفتوح لابد وان يعقبه استقرار للعرب في هذه البلاد ، وان اي استقرار في الاندلس ، لابد من ان يكون على حساب شمال افريقيا ومصر ، او ان تلجأ الخلافة الى ارسال المزيد من القوات العربية من بلاد الشام . ومن المحتمل انه فكر بقبول سياسة موسى في الاعتماد على سكان البلاد في ادارتها بعد الفتح ، ومع هذا ، فان عدم وجود اعداد كافية من العرب بحيث يمكن ارسالهم

للاستقرار في تلك البلاد الواسعة ، جعله يستنم عن قبول سياسة موسى ، لذا فقد اعاد الخليفة مغيث الرومي الى الاندلس ، وهو يحمل امراً باستدعاء كل من موسى بن نصير وطارق بن زياد الى دمشق[66] .

وصل مغيث الى معسكر موسى بن نصير حينما كان يتهيأ لمغادرة مدينة سرقسطة الى منطقة الشمال الغربي من البلاد ، فاخبره بامر الخليفة ووجوب رجوعه هو وطارق الى المشرق . وقد رأى موسى بحنكته الحربية ومقدرته السياسية ان هذا الاستدعاء جاء في وقت غير مناسب تماماً ، لان مطاردة القوط لم تنته بعد ، كما ان انجاز افتتاح البلاد يتطلب السيطرة على المعاقل الجبلية في الشمال والشمال الغربي ، لهذا فقد طلب موسى من مغيث ان يؤجل طلب تنفيذ الاستدعاء حتى ينتهي من اقرار امر الفتح ، وذلك لصالح المسلمين ، ولتثبيت الوجود العربي الاسلامي في شبه الجزيرة . وابدى موسى استعداده للتخلي عن نصف ما يصيبه من الغنائم ، ومنح مغيث قصر الامارة في قرطبة (الذي سيعرف فيما بعد ببلاط مغيث) ، ان ساعده على انجاز مشروع الفتح ، وأجل تنفيذ الاستدعاء ، فوافقه مغيث على ذلك ، وسار معه الى جليقية[67] .

وفي هذه الاثناء ظل الخليفة قلقاً على مصير الجيوش الاسلامية في الاندلس ، وعلى تأخر جواب رسوله الاول الى موسى ، فأرسل مبعوثا ثانيا يدعى ابا نصر ، ليمنع موسى من الاستمرار في الفتح ، ويحمله على الرجوع في الحال ، وقد وصل الامر بالاستدعاء الثاني الى موسى بن نصير عندما كان في (لك) فقرر مغادرة البلاد ، وفي الطريق التقى بطارق بن زياد ، الذي كان عائداً من حملة له على منطقة ارغون في الثغر الاعلى ، فسار الاثنان معا الى طليطلة ، اما غالبية جنودهما ،

ففضلوا البقاء في المدن والارياف المفتوحة ، حيث استقروا هناك واقاموا منازلهم . ومر موسى بقرطبة في طريقه الى اشبيلية التي اختارها عاصمة للاندلس ، ونصب ابنه عبد العزيز والياً للبلاد[٦٨] .

٣ ـ نتائج الفتح واهمية دور موسى :ـ

على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها طارق بن زياد في قيادة الحملة الاولى ، وكسر شوكة القوط الغربيين في معركة كورة شذونة ، فان فتح الاندلس ما كان لينجز لولا التخطيط المنظم الذي رسمه القائد موسى بن نصير ، وتدخله المباشر في الميدان حينما تطلبت الظروف ذلك . ولم يكن فتح الاندلس يعني اضافة ممتلكات جديدة الى الدولة العربية الاسلامية ، بقدر ما كان امراً لابد منه لحماية الفتوح العربية في الشمال الافريقي . فجهود موسى في هذا المجال حفظت للامة العربية والى الابد ، بقاءها ووجودها في هذا الجزء العزيز من الوطن العربي . واذا ما التفتنا الى الاندلس ذاتها ، نرى ان انجاز موسى لايمكن تقدير قيمته ، نظراً لما طرأ على هذا البلد من تطور ، وحضارة راقية . فبفضل موسى ، ارتفعت اصوات الاسلام ، وسادت الحضارة العربية في ربوع شبه الجزيرة الآيبيرية نحو ثمانمائة عام ، فقامت فيها الامارات والدول العربية بعد سقوط الخلافة الاموية في المشرق ، واستمر المسلمون في عطائهم وحضارتهم التي شعت على مناطق اوربا الغربية ، حتى بداية العصور الحديثة ، واكتشاف العالم الجديد سنة ١٤٩٢م ، حيث انتهى الوجود السياسي للعرب والمسلمين في هذه البلاد بسقوط مملكة غرناطة .

كانت نتائج الفتح الاولى هي التحول الشامل الذي احدثه موسى بن نصير في الاندلس ، وعلى مختلف الاصعدة السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية . فبغض النظر عن هدم النظام السياسي لدولة القوط الغربيين ، واحلال الحكم العربي الاسلامي محله ، حمل موسى وجنده نعمة العدل والحرية والمساواة الى الشعوب التي كانت ترزح تحت نير القوط الغربيين ، واحدث الفتح ثورة اجتماعية مهمة تمثلت في القضاء على الكثير من الشرور التي كانت تعاني منها البلاد ، فقد تحطمت سلطة النبلاء والطبقات الغنية ، ورجال الدين ، الذين كانوا يسيطرون على اراضي شاسعة ويمتلكون الكثير من العبيد ، كما وزعت الاراضي بشكل عادل ، فكان ذلك عاملاً في ازدهار الزراعة في الحقب التي اعقبت الفتح ، وتحرر الكثير من العبيد ، واصبحوا من الزراع ، وتمتعوا بالحرية في ممارسة اعمالهم ، وتصريف شؤونهم التي كانوا محرومين من القيام بها في ظل سادتهم السابقين .

لقد استطاع موسى بن نصير وصحبه من القادة المؤمنين ان ينقلوا الاسلام الى الاندلس بصفته الرائعة التي ظهر بها ، وانتقل الى معظم ارجاء العالم المعروف في ذلك الوقت . ويعود الفضل لموسى في انه استطاع ان يدعم هذا الدين في بيئة جديدة تختلف تماما عن البيئات التي عرفها العرب حين نزلت الدعوة الاسلامية ، تلك هي بيئة غرب اوربا ، البعيدة كل البعد عن مركز الخلافة في المشرق . وقد استطاع هذا القائد بفضل سياسته ومرونته وتقديره للظروف ، ان يظهر للشعب الآيبيري بان المسلمين لم يدخلوا الى بلادهم سادة قاهرين ، بل دخلوا اخوة يكنون لهم كل ود وتقدير ، فترك لهم حرية المعتقد ،

ولم يتدخل في شؤونهم الادارية ، وعاملهم معاملة الند للند ، وهكذا امتزج معهم الشعب العربي المسلم ، وصاهرهم ، وشاركهم مباهج الحياة ، وافراحها ومسراتها ، فأنس اهل البلاد الى الفاتحين ، سواء كانوا من العرب او من سكان شمال افريقيا المحليين ، وابتداوا في اعتناق الدين الاسلامي ، ولم يكن ذلك قسراً ، او بالاكراه ، بل عن اقتناع كامل بفضائله ، وايمان صادق باركانه وقواعده التي اطلعوا عليها عن كثب نتيجة اختلاطهم بالمسلمين[69] .

وعلى الصعيد الاداري حاول موسى في المدة القصيرة التي امضاها في الاندلس ان ينظم احوالها الادارية والمالية حتى يجنبها الاضطرابات ، ويرسخ فيها التقاليد العربية الاسلامية التي اتبعها الفاتحون العرب في مختلف المناطق التي وصلوا اليها ، فلم يكد يستقر في طليطلة ، بعد وصوله اليها في اول مرة ، حتى امر بضرب عملة ذهبية دفع منها رواتب الجند الذين كانوا معه ، وقد مر بنا ان موسى ضرب عملة ذهبية ونحاسية في شمال افريقيا ، بتخويل من الخلافة في دمشق ، فاستعمل هذا الحق في الاندلس ، لانها كانت معدودة في نظره ارضاً مفتوحة تابعة لولاية افريقية التي مركزها القيروان ، وكان المسلمون يتعاملون خلال هذه المدة القصيرة في الاندلس بالعملة العربية التي ضربها موسى في افريقية ، اما العملة الجديدة فقد جاءت على غرار العملة الافريقية ، وكان على وجهها الاول اسم «محمد رسول الله» ، وعلى وجهها الثاني نجمة ذات ثمانية اذرع ، وتاريخ السك ، كما ضرب موسى كذلك عملة برونزية صغيرة لمساعدة الناس على تسهيل معاملاتهم اليومية[70] .

وباشر موسى ايضا بتنظيم البلاد من حيث ملكية الاراضي التي

تم الاستيلاء عليها ،حيث ابتدأ بتقسيم هذه الاراضي طبقا للتقليد الاسلامي المتبع في الفتوح ، فقد احتفظ بحصة الخلافة من الاراضي التي افتتحت عنوة ، وهي الخُمس ، ووزع الباقي بين جنوده ، اما المناطق التي افتتحت صلحاً فتركت بيد اصحابها مقابل دفع العُشر من انتاجها ، ويقال ايضاً انه خصص الكثير من افراد السبي ليزرعوا ارض الخمس (اي حصة الدولة) ، ويبقوا فيها ، وكان على هؤلاء ان يدفعوا ثلث محصولهم الى المسلمين ، واصبحوا يسمون بالاخماس ، وكذلك عرف ابناؤهم ببني الاخماس ، اما بالنسبة لاهل البلاد الذين اعتصموا في المعاقل المنيعة ، والمناطق الجبلية الشامخة ، فأقرهم موسى على اموالهم ودينهم بأداء الجزية ، وهم الذين بقوا على حيازة اموالهم وأراضيهم ، التي عرفت باسم ارض الشمل او الصلح . وتشير احدى الروايات الى ان موسى قسم كل الاراضي التي افتتحت عنوة باستثناء ثلاث مناطق ، وهي شنترين وقلنبرية في الغرب وشية في الشرق[٧١] ، ولكن هذا مستبعد ، والاصح ان موسى ابتدأ فعلاً في انجاز المراحل الاولى لعملية التقسيم ، لكنه لم يستطع ان يستمر فيها لضيق الوقت وانشغاله بإكمال الفتح ، واستدعائه المفاجئ الى دمشق .

ويعود الفضل لموسى ايضا في وضع الركائز الاولى لعملية استقرار المسلمين في الاندلس ، فقد كانت المعاهدات التي عقدها مع اهالي البلاد تبيح لجنوده الاستيلاء على المناطق التي تركها اصحابها ، ونشير هنا الى معاهدة استسلام مدينة ماردة ، التي خولت المسلمين حق الاستيلاء على ممتلكات الذين قتلوا في المعركة ، والهاربين الى جليقية ، ومن الواضح ان قسما من جيش موسى استقر

في هذه الممتلكات ، وفي الاراضي المهجورة ، ومن المحتمل جداً ان بقية اتباع موسى فعلوا الشيء نفسه ، واستقروا في الكثير من الاماكن الاخرى ، سواء تم عقد معاهدات مع اهلها ، ام لم يتم ذلك ، لا سيما في جنوب ، اسبانيا ، ووادي نهر الوادي الكبير ، ووادي نهر آنة ، وبعض الاماكن الاخرى في المناطق الشمالية التي تم فتحها عنوة ، اما في شرق اسبانيا ، فقد سبقت الاشارة الى قيام عبد العزيز بن موسى بعقد معاهدة صلح مع تدمير حاكم المنطقة القوطي ، فانتظم بموجبها استقرار المسلمين وعلاقاتهم مع السكان المحليين في تلك الارجاء ، كذلك ترك كل من موسى وطارق حاميات عربية اسلامية في مختلف المناطق التي وصلا اليها في البلاد ، واستقرت هذه الحاميات في اماكنها ، وكونت النواة الاولى للوجود العربي الاسلامي في شبه الجزيرة الآيبيرية . وقد وافقت الخلافة الاموية على هذا الاستقرار ، بعد ان تبين لها ثبات المسلمين وقوتهم في هذه الارض المفتوحة ، بل ان بعض المستقرين حصلوا على اراض اضافية من خمس الخلافة لانهم لم يكونوا راضين عن حصتهم من الارض . وقد اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بأمر المسلمين في الاندلس ، وعين من قبله واليا عليها ، واوصاه ان ينهي المهمة التي ابتدأ بها موسى ، اي تقسيم الارض ، وتحديد خمس الخلافة ، الذي استعمل لاسكان الجماعات العربية الصغيرة التي كانت تدخل الاندلس فيما بعد(٧٢) .

ونتيجة لاجراءات الاستقرار التي اقرها موسى بن نصير ، انتشر المسلمون في ارجاء شبه الجزيرة الآيبيرية ، فاستقر العرب في المناطق السهلية المنبسطة التي الفوا العيش فيها ، لا سيما في الجنوب ، ومناطق الشمال الشرقي في سرقسطة وما يجاورها ، اما سكان شمال افريقيا المحليين ، فقد اختاروا المناطق الجبلية التي

تعودوا عليها في موطنهم الاصلي ، وخاصة ان معظمهم كانوا من سكان مناطق جبال الريف ، وجبال الاطلس . فسكنوا في اماكن مشابهة في الاندلس ، حيث تكثر المناطق الوعرة ، والمرتفعات الجبلية في مختلف انحاء البلاد ، وقد استطاع هؤلاء السكان المسلمون ان يمتزجوا بأهل البلاد ، وينقلوا اليهم دماء جديدة ، ودينا حنيفاً ، ولغة جميلة ، وادارة عربية حازمة .

لم يترك موسى بن نصير الاندلس دون ان يطمئن على سلامة انجازاته فيها ، ويضمن استمرار الامن والسيادة العربية في ربوعها ، فعلى الرغم من استدعائه العاجل الى دمشق ، اتجه الى اشبيلية ، وشكل فيها حكومة عربية بقيادة ابنه عبد العزيز ، الذي اصبح الوالي الاول للبلاد ، فأحاطه بمجموعة من المستشارين المتمرسين في شؤون الادارة والسياسة والقتال ، من امثال حبيب بن ابي عبيدة ، وهو احد احفاد عقبة بن نافع الفهري ، وزياد بن النابغة التميمي ، وايوب بن حبيب اللخمي ، وعدد آخر من القادة المسلمين مع رجال عشائرهم ، ليدافعوا عن البلد ويحموه[٧٣] . وكان في اختيار اشبيلية مركزا للادارة العربية الجديدة ، التفاتة عسكرية فذة من موسى بن نصير ، وذلك بسبب قربها من البحر ، ومن المضيق ، حيث تكون الاتصالات معها سهلة وميسورة. فضلاً عن ذلك، فقد فكر ايضاً في جعلها القاعدة البحرية الاولى للعرب في الاندلس[٧٤] . وقد اثبت ذلك عملياً ، حيث غادر الاندلس عن طريق ميناء اشبيلية على نهر الوادي الكبير متجها نحو المحيط الاطلسي ، ومنه الى شمال افريقيا ، ولم يعد بطريق البر الى الجزيرة الخضراء ، التي دخل منها اولاً ، وفي ذلك دلالة واضحة على اهمية البحر في نظر موسى ، والاعتماد الكبير على الاسطول العربي في الاتصال بالمناطق الجديدة المفتوحة .

هوامش الفصل الرابع

(١) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص٦٩ ، ٧٥ .

(٢)مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٢٣ .

(3) E. A. Thompson, The Goths in Spain,Oxford, 1969, pp. 278 , 281 — 282.

(٤) انظر : مجهول ، فتح الاندلس ، ص ٧ : عبد المنعم الحميري ، صفة الاندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر : ليفي بروفنسال ، القاهرة ـ ليدن ، ١٩٣٧ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ : محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩ : ١/ ٣٠ ـ ٣١ .

(5) Thompson, Op. Cit., p. 121

(6) Ibid., pp. 267 , 305.

(7) J . F . O' Callaghan, A History Of Mediveal Spain, London, 1975, p. 73.

(٨) طه ، المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(9) O' Callaghan, Op. Cit., p. 72

(١٠) انظر : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١٦ : عنان ، المرجع السابق : ١/ ٣٣ ـ ٣٤ .

(١١) ابن حبيب ، استفتاح الاندلس ، ص ٢٢٥ : ابن القوطية ، ص ٧ : ابن عذاري : ٢/ ٣ : المقري : ١/ ٢٥١ : وقارن : مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٠ : طه ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(١٢) مؤنس ، المرجع السابق ، ٦٤ ـ ٦٥ .

(١٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ : ابن القوطية ، ص ٧ ـ ٨ : اخبار مجموعة ، ص ٥ : فتح الاندلس ، ص ٣ ـ ٤ ، ٩ : ابن عذاري : ٢/ ٦ ـ ٧ : المقري : ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(١٤) قارن : مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

(١٥) الرقيق ، ص ٧٤ .

(١٦) اخبار مجموعة ، ص ٥ : فتح الاندلس ، ص ٣ ـ ٤ : ابن الكردبوس ، ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(١٧) انظر : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٦٦ : العدوي ، موسى بن نصير ،ص ٧٧ .

(١٨) اخبار مجموعة ، ص ٦ : فتح الاندلس ، ص ٥ : ابن عذاري : ٢/ ٥ : الحميري ،

ص ٨ . ١٢٧ : وانظر :

E. Saavedra, Estudio Sobra La Invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892, pp. 40 — 43 .

(١٩) الطبري : ١/١٢٣٥ : الرقيق ، ص ٧٤ : فتح الاندلس ، ص ٩ : ابن حبيب ، ص٢٢٢ : ابن عذاري : ٢/٩ : الحميري ، ص ٩ .

(٢٠) المقري : ١/٢٣١ ـ ٢٣٢ : اخبار مجموعة ، ص ٧ : ابن الاثير : ٤ ٥٦١ ـ ٥٦٣ .

(٢١) فتح الاندلس ، ص ٥ .

(٢٢) ابن الكرد بوس ، ص ٤٦ : وقارن ، ابن عذاري : ٢/٩ .

(٢٣) انظر : ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ : الرقيق ، ص ٧٤ : محمد بن علي بن الشباط . صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد ١٤ ، مدريد ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ص ١٠٧ : ابن عذاري : ٢/٦ : المقري : ١/٢٥٤ .

(٢٤) انظر : عبد الواحد ذنون طه ، «نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة» . بحث منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ الاندلسي . مطبعة جامعة الموصل . الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢ .

(٢٥) ابن القوطية . ص ٨ ـ ٩ فتح الاندلس ، ص٥ : ابن عذاري : ٢/٩ ، ٢٥٦ : وقارن :

Saavedra, Op. Cit., p.65;P. Madoz, Diccionario geografico — estadistico — historico de Espana Y sus Posesiones de Ultarmar. Madrid. 1848 — 50, Vol. xv, p. 65.

(٢٦) انظر : مؤنس . المرجع السابق : وقارن : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٦٥ .

(٢٧) احمد مختار العبادي . دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، مطبعة المصري . الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٣١ .

(٢٨) انظر : ابن حبيب ، ص ٢٢٢ ؛ ابن الكردبوس ، ص ٤٧ .

(٢٩) العدوي ، المرجع السابق ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣٠) فتح الاندلس ، ص ٥ ـ ٦ .

(٣١) ابن الشباط، ص١٠٧؛ المقري : ١/٢٥٩ .

(٣٢) انظر : العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٥ ؛ حسين مؤنس ، رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، العدد ١٨ ، مدريد ، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، ص ٩٠ ـ ٩١ ؛ طه ، دراسات في التاريخ الاندلسي ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٣٣) ابن القوطية ، ص ٩ ، اخبار مجموعة ، ص ٩ ـ ١٠ ؛ فتح الاندلس ، ص ٧ ـ ٨ ؛ ابن عذاري : ٢/٨ .

(34) The Chronicle of 754 , p. 147 (no. 36).

(نشرت ملحقا لكتاب اخبار مجموعة/طبعة مدريد)

(٣٥) اخبار مجموعة ، ص ١٣ ـ ١٤ ؛ فتح الاندلس ، ص ٨ ؛ المقري : ١/٢٦١ ـ ٢٦٣ .

(٣٦) (اخبار مجموعة) ، ص ١٥ ؛ ابن الاثير : ٤/٥٦٤ ، ابن عذاري : ٢/١٢ .

(٣٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ؛ الرقيق ، ص ٧٦ ؛ ابن عذاري : ٢/١٣ ؛ ابن خلدون : ٤/٢٥٤ ؛ المقري : ١/٢٦٩ .

(٣٨) الامامة والسياسة : ٢/٦١ .

(٣٩) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ ؛ الرقيق ، ص ٧٦ ؛ المقري (برواية احمد الرازي) : ١/٢٧٧ .

(٤٠) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٧٦ .

(٤١) انظر : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٩٠ .

(٤٢) فتح الاندلس ، ص ١٣ ؛ محمد بن عبد الوهاب الغساني ، رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد رقم (٥٣٠٤) ص ٩٩ ؛ مؤلف

مجهول ، الرسالة الشريفية ، نشرت ملحقا لكتاب ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس/طبعة مدريد ، وهي على ما يعتقد جزء من كتاب رحلة الوزير في افتكاك الاسير للغساني ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٤٣) انظر خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، ص ٢٥٣ .

(٤٤) ابن القوطية ، ص ٩ : اخبار مجموعة ، ص ١٥ ـ ١٦ : ابن عذاري : ١٣/٢ ـ ١٤ : المقري (برواية ابن حيان) : ٢٦٩/١ .

(٤٥) رواية محمد بن مزين ، نقلها الغساني ، رحلة الوزير ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ : انضر ايضاً : فتح الاندلس ، ص ١٣ .

(٤٦) اخبار مجموعة ، ص ١٧ ، ابن عذاري : ١٤/٢ .

(٤٧) انظر : عبد الواحد ذنون طه ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ، مجلة المورد ، م ١٧ ، العدد ١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢ .

(٤٨) اخبار مجموعة ، ص ١٨ : وانظر : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٩٣ : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٧٨ .

(٤٩) المقري (برواية ابن حيان) : ٦٤/٣ .

(٥٠) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٨١ .

(٥١) المقري : ٢٤٢/١ .

(٥٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ : الامامة والسياسة : ٦٢/٢ .

(٥٣) اخبار مجموعة، ص ١٩ : ابن عذاري : ١٦/٢ ـ ١٧ : وانظر :

The Chronicle of 754, p. 148 (no. 36) .

(٥٤) ابو عبد الله محمد بن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، قطعة نشرت باعتناء الاركون وكونثاليت بالنثيا ، مدريد ، ١٩١٥ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ : احمد بن عمر العذري ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق : عبد العزيز الاهواني ، مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ : الحميري : ص ١٩٥ .

(٥٥) انظر : ابن حبيب ، ص ٢٢٧ : الحميري ، ص ٢٧ : ابن خلدون : ٢٥٥/٤ : المقري : ٢٧٣/١ ـ ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

(٥٦) قارن : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١٠٤ : سالم ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ : Saavedra, Op. Cit., p. 114 — 115

(٥٧) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٨٣

(58) Garcia Domingues, " Invasao e conquista de la Lusitania por Muca Ben Nosair E seu filho Abad alaziz", Congreso de Estudios Arabes Islamicos. Actas, held, Cordoba, 1964, pp. 228 — 229.

(٥٩) اخبار مجموعة ، ص ٢٨ : ابن عذاري : ١٢/٢ ـ ١٣ : المقري : ٣/٧٨ ، ٣٥٠/٤ ـ ٣٥١ .

(٦٠) لسان الدين ابو عبد الله محمد التلمساني ، ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣ : ١٠١/١ : المقري : ٢٧٥/١ .

(٦١) اخبار مجموعة ، ص ١٢ ـ ١٣ .

(٦٢) احمد بن يحيى الضبي ، بغية الملتمس ، نشر : فرانسسكو كوديرا ، مدريد، ١٨٨٤، ص٢٥٩؛ العذري، ص٤ ـ ٥؛ الحميري، ص٦٢ ـ ٦٣، ١٥١ ـ ١٥٢.

(٦٣) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٦٤) الامامة والسياسة : ٦٢/٢ .

(٦٥) المصدر نفسه : ٦٢/٢ .

(٦٦) فتح الاندلس ، ص ١٤ : ابن الاثير : ٥٦٦/٤ : ابن الشباط ، ص ١٢٣ : النويري ، ق ١ : ٢٩/٢٢ : ابن خلدون : ٥٥٦/٤ : المقري : ٢٧٥/١ ـ ٢٧٦ .

(٦٧) فتح الاندلس ، ص ١٤ : ابن الشباط ، ص ١٢٣ : المقري : ٢٧٦/١ : وانظر : العدوي ، موسى بن نصير ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٦٨) اخبار مجموعة ، ص ١٩ : المقري : ٢٧٦/١ .

(٦٩) انظر : العدوي ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٧٠) مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١٠١ : Saavedra, Op. Cit., pp. 106 - 107

(٧١) انظر : الرسالة الشريفية ، ص ١٩٩ : الغساني ، ص ١٠٠ .

(٧٢) قارن : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .

(٧٣) اخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ فتح الاندلس ، ص ١٧ ؛ ابن الاثير : ٤/٥٦٦ ؛ ابن عذاري : ٢/٢٣ ؛ المقري : ١/٢٧٦ ؛ الرسالة الشريفية ، ص ٢١٠ .

(٧٤) اخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ المقري : ١/٢٧٦ ؛ الرسالة الشريفية ، ص ٢١٠ .



الفصل الخامس

العودة الى المشرق وتقويم موقف الخلافة من موسى

كانت مغادرة موسى بن نصير من اشبيلية الى شمال افريقيا في ذي الحجة سنة ٩٥ هـ/ ايلول ٧١٤م ، يصحبه كل من طارق بن زياد ومغيث الرومي ، وغيرهما من كبار رجال العرب الذين رافقوه في عملياته العسكرية في الاندلس . وبرجوعه انتهت صفحة من انصع الصفحات التي سطرها الفن العسكري العربي في تاريخ الفتوح ، حيث ادار موسى بن نصير في نحو اربع سنوات ، اكبر عملية عبور في تاريخ الحروب المعروفة آنذاك ، واتم خلالها فتح شبه الجزيرة الآيبيرية من اقصى الجنوب الى جبال البرت وشاطىء خليج بسكاي في الشمال ، ومن سواحل البحر المتوسط في الشرق الى المحيط الاطلسي في الغرب ، ولم يترك فيها مدينة او حصنا ذا اهمية الا رفع راية الاسلام عليه عالية ، وضمه الى حضيرة الدولة العربية الاسلامية ، ويعد انجازه العسكري هذا من الانجازات المميزة في التاريخ ، اذا ما اخذنا بالحسبان ، قصر المدة ، والبعد الجغرافي الشاسع ، والامكانيات المحدودة في ذلك العصر ، ولكن صبر هذا القائد الفذ واقدامه ، جعله لا يبالي بكل المصاعب ، فيمتطي صهوة جواده دون ركاب ، وهو يناهز الثمانين من عمره ، ويقطع الصحارى والجبال في اشد الظروف الطبيعية ضراوة وقسوة ، ويركب البحر في اقصى هيجانه ، ويقود القطعات العسكرية التي لاتقل عن شموخه ، وعنف صلابته ، ويقتحم بها اقوى الحصون والقلاع[1] ، الى ان اتم مهمته على اكمل وجه ، ودحر فلول الاعداء ، وحرر الاندلس من حكم القوط الغربيين ، ثم استعد للعودة في موكب مهيب يليق به وبانجازاته الباهرة ، وما حققه للامة العربية الاسلامية من نصر مؤزر .

اصطحب موسى معه عدداً كبيراً من الاسرى ، بالغت الروايات في تقديره ، كما رافقه مائة رجل من اشراف الناس من قريش ، ومن

الانصار ، ومواليها ، واخرج معه من وجوه سكان شمال افـريقيا المحليـين مائـة رجل ، منهم ابنـاء كسيلة ، وملك السـوس الاقصى وغيرهما ، يضـاف الى هذا كله الغنـائم التي لا تحصى من الذهب والفضة والجواهر التي حملت على ثلاثين ومـائة عجلة ، كمـا حمل ايضا «المائدة» المشهورة ، وكثيراً من الكنوز الاخـرى التي حصل عليها في اثناء الفتح[٢] . وقد حرص موسى على اظهار فضل مساعدة طارق بن زيـاد ، الذي سار معـه جنبـا الى جنب طيلة الطريق الى الشام ، ليظهر للناس مدى ما قـدمه هـذا القائـد من اجل نصـرة الاسلام ورفع رايته ، فجهاد طارق بن زياد واعماله في الاندلس تمثل سراً من اسرار قوة الاسلام ، وناحية من نواحي تفوقه ، وهي كلها امور استطاع موسى ان يتيح لها اسباب المجد والانطلاق ، فموسى بن نصير هو الذي هيأ الظروف لطارق ليكون قائداً فاتحا ، وسيـاسياً محنكاً ، يقود الجيوش ، ويفتح البلدان ، ويوقع المعاهدات في قدرة وكياسة جديرتين بالاعجاب والتقدير[٣] .

وعنـدما وصـل موسى الى شمـال افريقيـا ، نظم امـورهـا ، فاستخلف ابنه عبد الملك على طنجة والسوس ، واقر ابنه الاكبر عبد الله على ولاية افريقية ، حين مر في طريق عودته بالقيروان[٤] ، ثم قدِم مصر ، فأقام فيها ثلاثة ايام ، وكان الخليفة الوليد الاول ، قد كتب الى والي مصر ان يحسن استقبال موسى ، ويضع تحت تصرفه ما يشاء من بيت المال ، تقديراً لجهوده في سبيل نصرة العروبة والاسلام ، وعندما اقترب موكب مـوسى بن نصير من الفسـطاط ، خرج الوالي لاستقباله والترحيب به ، وقد رد موسى باغداق المنح والهدايا عـلى مستقبليه من كبار رجال الولاية ، ولم يبق شريف الا وقد اوصل اليه

موسى صلة ومعروفا كثيراً ، وخص ابناء عبد العزيز بن مروان ، ولي نعمته السابق ، فذهب اليهم بنفسه وسلم عليهم ، وتفقد احوالهم ، واهدى لهم هدايا كثيرة[5] ، وذلك جزء من الوفاء لذكرى والدهم والي مصر الاسبق ، الذي يعود اليه الفضل في تبني قضية موسى ، ورفع شأنه ، والدفاع عنه لدى اخيه الخليفة عبد الملك بن مروان .

اتجه موسى بعد ذلك الى فلسطين ، فاستقبله اهلها استقبالاً حارا ، ورحبوا به كثيراً ، لا سيما آل روح بن زنباع ، الذين نـزل عندهم موسى طيلة اقامته بفلسـطين ، فنحروا له الذبـائح الكثيـرة تقديراً له ولمن معه من الوفود الذين شكلوا موكب النصر المتقدم الى عاصمة الخلافة الاموية ، وقبل ان يغادر موسى ، ترك لدى آل روح بن زنباع بعض اهله وصغار اولاده ليتفرغ لاعداد موكبه بالصورة التي تليق بالخلافة ، كما لم ينس ان يمنح آل روح بن زنباع الكثير من الهدايا التي تضمنت الوصائف وغير ذلك من الطُرف والاموال[6] .

وتشير بعض الروايات الى تلقي موسى بن نصير رسالة من ولي عهد المسلمين سليمان بن عبد الملك ، الذي كان في فلسطين ، يأمره فيها بتأخير وصوله الى دمشق ، وان يتـريث بالدخـول لحين وفـاة الخليفة الوليد ، الذي كان مريضاً ، ليتسنى لسليمان الحصول على الكنوز التي جلبها موسى معه ، وينال بذلك فخر الفتح لنفسه ، وتزعم هذه الروايات ايضا ، ان موسى اهمل هذه الرسالة قائلاً : «خنت والله وغدرت وما وفيت ، والله لاتربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني اسير بمسيري ، فان وافيته حيا لم اتخلف عنه ، وان عجلت منيته فامره الى الله» . فرجع الرسول الى سليمان واعلمه بما قال موسى ، فتوعده ان ظفر به ليصلبنه او يقتله[7] . ثم تسلم موسى رسالة ثانية من الخليفة

الوليد يطلب منه الاسراع بالحضور الى دمشق ، قبل ان تحرمه المنية مشاهدة موكب النصر القادم من الاندلس ، وبطبيعة الحال ، ان هذه الروايات لا يمكن الركون اليها ، وان علاقة موسى بالخليفة الوليد ، ومن بعده سليمان بن عبد الملك ، لا يمكن ان تفسر في ضوء هذه المسائل الشخصية ، ويبدو ان بعض المؤرخين قد احتاروا من المعاملة التي لقيها موسى بعد رجوعه الى دمشق ، لا سيما موقف الخليفة سليمان منه وعزله عن منصبه ، فلم يجدوا تفسيراً افضل من مسألة هذه الرسائل ، ووضعوا القضية كلها في اطار المنافع المادية ، ومن الذي سيحصل على كنوز وذخائر الفتح . وقد فات هؤلاء ان ما جاء به موسى من اموال هو ملك لبيت المال الخاص بالمسلمين جميعا ، وانه مال الخمس الذي يعود وفق الشرع الى الدولة عامة ، وليس الى الوليد او سليمان .

على اية حال ، وصل موسى الى دمشق في السنة ٩٦هـ/ اوائل السنة ٧١٥م ، قبل وفاة الوليد باربعين يوما ، وقد اندهش الناس في العاصمة ، واصابهم الذهول لما حمله موكب موسى من غنائم وخيرات ، وما احتوى عليه من طرائف . ويذكر بأن وصول موسى الى دمشق كان في يوم جمعة في وقت جلوس الخليفة الوليد على المنبر في المسجد الجامع ، وكان موسى قد رتب موكبه ترتيبا مهيباً ، واشرف على طريقة سيره ، وارتداء المشتركين فيه لثيابهم ، فأمر ان يلبس كل رجل من اسرى القوط النبلاء تاجا ، وثياباً خاصة بهم ، تمثل اوطانهم ، ثم يدخلوا معه المسجد ، فألبس ثلاثين رجلا من هؤلاء التيجان ، وهيأهم هيئة الملوك ، كما البس التيجان ايضا ابناء زعماء القبائل من شمال افريقيا ، وابناء ملوك الجزر التي استولى عليها في

البحر المتوسط ، لاسيما جزيرتي ميورقة ومنورقة ، وارتدى اشراف العرب المرافقين له ايضا ملابسهم العربية الجميلة ، وسار الجميع ، ومعهم الاموال والجواهـر ، والاكسية المنسـوجة بـالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، حتى دخلوا على الخليفة في المسجد ، وهو على المنبر يعاني من آلام المرض ، الذي اثر فيه بشكل ملحوظ ، لكنه كان يتحامل على نفسه من اجل استقبال موكب النصر الذي يقوده موسى .

ولما رأى الوليد هـذا المنظر استـولت عليه الدهشـة والعجب الشديد ، كذلك بهت الناس ، وصاحوا يهتفون باسم موسى صاحب النصر العظيم ، ثم اقبل موسى على الوليد وسلم عليه ، ووقف الثلاثون رجلاً اصحاب التيجان عن يمين المنبر وشماله ، واخذ الوليد في القاء خطبته ، فحمد الله واثنى عليه وشكره ، لتأييده اياه ونصره ، وقد اخذت فرحة النصر الوليد ، حتى اطال الخطبة واوشك وقت الصلاة على الفوات ، فصلى بالنـاس ، ثم جلس ودعا بمـوسى ، فخلع عليه الخلع ثلاث مرات ، واجـازه بخمسين الف دينـار ، وفرض لاولاده جميعا في الشرف ، وفرض لخمسمائة من مواليه ، ولمن كان معه من قريش والعرب ، الذين احسن جوائزهم ، وفرض لهم في الشرف[٨] ، وكان هذا التكريم العلني من الخليفة لموسى ولآل بيته اعترافا رسميا بما قدمه هذا القائد وابناؤه من خدمات جليلة للدولة العربية ، ولم يكن هذا التكريم من جانب الوليد مبالغاً فيه ، نظراً الى جهود موسى ، وتضحياته الكبيرة في سبيل اعلاء شأن العروبة والاسلام .

توفي الخليفة الوليد في الخامس عشر من جمادي الثانية سنة ٩٦هـ/ ٢٥ شباط ٧١٥م ، وخلفه في الحكم اخوه سليمان بن عبد

الملك ، الذي اعفى موسى بن نصيرمن العودة الى الاندلس ، ويبدو ان سليمان لم يكن راضياً عن سياسة الفتوح الواسعة التي نفذها موسى .

ان سيرة موسى بن نصير الحميدة ، وولايته لافريقية ، وامجاده في فتح الاندلس ، لا تسمح في الطعن في نزاهته ، فقد اغناه الله بالحلال عن الحرام ، ولو كان موسى طامعاً في اموال الاخماس لاسترجع المائة الف دينار التي كان قد اغرمه اياها الخليفة عبد الملك ، ثم عفا عنه ، وطلب اليه ان يأخذها من الاخماس ، لكنه عفّ عن استرجاعها ، وانفقها لصالح المسلمين ، وفي تحرير العبيد الذين يعتنقون الاسلام ، كما اشرنا الى ذلك في الفصل الثالث ، فضلاً عن ذلك ، فان قوة موسى وسلطانه في المغرب كانا من العظمة بحيث لا يمكن ان يفكر في الاستيلاء على بيت المال ، او التلاعب بالاخماس ، فقد كان له من الموالي والاتباع الوف كثيرة ، وليس ادل على ولائه واخلاصه للخلافة من الرواية الآتية التي تظهر مدى الصدق الذي كان يكنه في علاقته بالخلافة ، فقد ذكر ان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، سأله يوماً عن عدد مواليه واهل بيته ..

«فقال موسى : كثير .

قال يزيد : يكونون الفاً ؟

قال موسى : نعم والفاً والفاً حتى ينقطع النفس ، لقد خلفت من الموالي ما اظن بان احداً لايخلف مثلهم .

قال له يزيد : انك لعلى مثل ماوصفت ، وتعطي بيدك . الا اقمت بدار عزك ، وموضع سلطانك ، وبعثت بما قدمت به ، فإن أُعطيت الرضا اعطيت الطاعة ، والا كنت على التخير من امرك !

فقال موسى : والله لو اردت ذلك ما تناولوا مني طرفاً من اطرافي الى ان تقوم الساعة ، ولكني آثرت حق الله ، ولم ار الخروج عن الطاعة والجماعة ...»[٩] .

ان من يكون هذا موقفه وجوابه لا يمكن ان يفكر في خيانة ، او في احتراز مال ضئيل ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، امام الكنوز التي كانت تحت تصرفه ، ولهذا فان التهم التي الصقت بموسى في هذا الخصوص باطلة ، ولا يمكن للخليفة ان يصدقها ، ولابد من ان يكون لديه مبررات اخرى لعزله ، والاستغناء عن خدماته . ان العمر الذي بلغه موسى عند رجوعه الى دمشق كان يقارب الثمانين عاما ، وليس من المعقول ان تسمح له هذه السن بالعودة ثانية ، وتولي ادارة ولاية افريقية ، او شؤون الاندلس ، يضاف الى ذلك ، ان موسى قد ادى دوره كاملاً في خدمة الدولة العربية الاسلامية ، وان كان للخليفة سليمان بعض التحفظات على طريقته او تصرفاته في الفتح ، او على سياسة الفتوح السريعة التي نفذها ، فهي لا تقلل من قيمته كقائد عظيم انجز في مدة وجيزة ما يعجز غيره عن القيام به في عشرات السنين .

لقد كان للخليفة سليمان سياسته الخاصة به ، والتي دعته الى اجراء بعض التغييرات في الاوضاع السياسية والاجتماعية في الدولة ، وذلك نظرا الى الظروف الجديدة والتطورات التي حصلت بعد سياسة الفتوح الشاملة التي تمت في عهد سلفه الوليد الاول ، فأراد ان يجد سياسة بديلة لسياسة الفتوح الواسعة التي نفذها الحجاج بن يوسف في المشرق ، وموسى بن نصير في المغرب ، لانها ارهقت كاهل الخلافة ، نظراً للنفقات الكثيرة التي تحتاجها لتغطية تكاليف

الحملات العسكرية ، وتهيئة الجيوش اللازمة لتنفيذها ، لهذا فقد اتخذ اجراءات معينة في المشرق ، منها الكتابة الى قتيبة بن مسلم الباهلي بان يعطي الناس اعطياتهم ، وان يطلق من في حبسه ، ويسمح بالرجوع لمن اراد منهم ، وفي هذا ارضاء لطموح المقاتلة واحتواء لرغبتهم في وقف الحملات العسكرية ، والعودة الى الاوطان[10] .

ان عزل موسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم ، وباقي الولاة في المشرق ، لا يمكن ان ينظر اليه الا من هذه الزاوية ، اي سياسة الخليفة سليمان الجديدة في تضييق حركة الفتوح ، ومحاسبة القواد ، لتبيان مالهم وما عليهم من سلطات وحدود ، وهي محاسبة لاتتعدى دائرة المحاسبة العليا التي تمثل خليفة المسلمين ، وهي ايضاً لا تختلف بحال من الاحوال عن تلك المحاسبة التي كان سيقوم بها الخليفة الوليد بن عبد الملك عندما امر موسى بالرجوع الفوري من الاندلس ، وقد مر بنا كيف ان الوليد لم يكن مطمئناً على سلامة المسلمين في الاندلس ، وان قلقه الشديد دفعه الى ارسال مبعوثين لاستدعاء موسى ، ومعرفة المدى الذي وصلت اليه الفتوح في الجبهة التي يعمل فيها ، ويبدو ان الخلفاء استمروا في هذا القلق حتى بعد الوليد وسليمان ، فنجد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لا يكتفي بوقف الفتوح ، بل يفكر في التخلي عن الاندلس واجلاء المسلمين عنها ، نظراً الى تخوفه الشديد على مصيرهم ، وامكانية تغلب الاعداء عليهم ، ولم يتخل عن هذه الفكرة الا بعد ان كتب اليه واليه السمح بن مالك الخولاني ، يعرفه بقوة الاسلام ، وكثرة المدن والمعاقل التي يسيطر عليها العرب في الاندلس[11] ، فاذا كان هذا موقف الخليفة عمر الذي حكم بعد الوليد وسليمان ، فلماذا نلوم هذين الاخيرين في محاولتهما

محاسبة احد القواد ، او في توقف احدهما عن سياسة الفتوح البعيدة ، التي قد ينتج عنها مغالاة في الطموح بالنسبة لبعض القادة ، الامر الذي ربما يتسبب في نتائج لا تحمد عقباها على المسلمين .

تبعت عملية عزل الخليفة سليمان لموسى بن نصير ، ومحاسبته تغييرات في القيادات السياسية التي تركها في شمال افريقيا والاندلس ، فقد عزل ابنه الاكبر عبد الله بن موسى عن ولاية افريقية ، وعين مكانه محمد بن يزيد القرشي .

ان تجريد موسى بن نصير وابنائه من السلطات السياسية ، لم يمنع الخليفة سليمان من الاستفادة من خبرته الحربية ، فقد عده من كبار مستشاريه في الشؤون العسكرية ، وتشير احدى الروايات الى ذلك صراحة ، حينما استدعاه الخليفة ليأخذ رأيه في ارساله حملة لحصار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م ، فقال له سليمان : «اشر علي يا موسى ، فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله ، بعيد الاثر ، طويل الجهاد . فقال له موسى : ارى يا امير المؤمنين ان توجهه بمن معه ، فلا يمر بحصن الا صيّر عليه عشرة الآف رجل ، حتى يفرق نصف جيشه ، ثم يمضي بالباقي من جيشه ، حتى يأتي القسطنطينية ، فانه يظفر بما يريد يا امير المؤمنين ...»(١٤) ، وهذه الخطة هي من جملة الخطط التي كان ينفذها موسى في فتوحه ، في شمال افريقيا والاندلس ، وهي تكفل للجيش المقاتل ، حفظ خطوط اتصالاته ، والتخلص من التعرض للهجمات الفجائية بحماية ظهره من كل خطر محتمل .

واستمر الخليفة سليمان في الاستفادة من تجارب موسى

العسكرية ، وخبراته بالشعوب التي تعامل معهـا ، وتشير الروايـة الآتية بوضوح الى خبرة موسى ، واستعداده للاجابة المقنعة لكل ما يطرحه عليه الخليفة من امور تخص هذه المسائل :

فقد قال سليمان لموسى : ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من امور عدوك ؟

قال موسى : التوكل والدعاء الى الله يا امير المؤمنين .

قال له سليمان : هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق ، او كنت تخندق حولك ؟

قال موسى : كل هذا لم افعله .

قال سليمان : فما كنت تفعل ؟

قال موسى : كنت انزل السهل ، واستشعـر الخوف والصبـر ، واتحصن بالسيف والمغفر ، واستعين بالله ، وارغب اليه في النصر .

قال له سليمان : فمن كان من العرب فرسانك ؟

قال موسى : حمير .

قال سليمان : فأي الخيل رأيت في تلك البلاد أصبر ؟

قال موسى : شقرها .

قال سليمان : فأي الامم كانوا اشد قتالا ؟

قال موسى : انهم يا امير المؤمنين اكثر مما اصفهم .

قال سليمان : فاخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم ، اكانت عقبا ؟ (اي انتصاراً وهزيمة) .

قال موسى : لا يا امير المؤمنين ، ما هزمت لي راية قط ، ولا فض لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي نكبة ، منذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين(١٥) .

وعلى الرغم من طغيان الاسلوب الروائي على هذه المناقشة الطريفة بين الخليفة سليمان وموسى بن نصير ، واحتمال تعرضها للاضافة والتغيير على يد الرواة ، لكنها تشير الى قابلية موسى الكبيرة ، وحنكته السياسية ، ومعرفته التامة بصفات وميزات اعدائه الذين قاتلهم في جبهة المغرب والاندلس ، فلم يبخسهم حقهم ، بل اعطاهم ما يستحقون من اوصاف ، فاعترف بشجاعة الشجاع منهم ، ووصف اقدامهم ، وما يلجأون اليه في حروبهم ، ومدى تشابه عاداتهم وتقاليدهم مع العرب . ولعمري فلا عجب ان ينتصر موسى في كل معاركه ، بعد هذه الخبرة الطويلة ، والتلاحم المستمر مع الاعداء ، ومعرفة نقاط ضعفهم وقوتهم ، ومن حقه ان يفخر في نهاية هذه المناقشة ، على انه لم يهزم قط ، ولا فض له جمع ، ولا نكب معه المسلمون ابداً .

ظل موسى بن نصير عظيم المنزلة في صحبة الخليفة سليمان ، يستشيره ويأنس اليه ، فلما كانت سنة ٩٨ هـ/٧١٦م ، تجهز سليمان للحج الى بيت الله الحرام ، وطلب من موسى مرافقته في هذه الرحلة المباركة ، فاعتذر موسى بضعفه وكبر سنه ، فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا محملاً ، وبحجرة من حجره ، وجائزة[١٦] ، ليعينه على تحمل مشاق الطريق ، فاضطر موسى الى السفر تلبية لرغبة الخليفة ، وكان الاثنان يسيران جنباً الى جنب طيلة الطريق الى الحجاز ، يتشاوران في احوال الدولة ، ويتدارسان الوسائل الكفيلة بعزها ورفعتها . وتشير الروايات الى حادثة طريفة ، تدل على شعور موسى بدنو اجله في الحجاز ، فقد قال لبعض من يثق به من اصحابه : ليموتن بعد يومين رجل بلغ ذكره المشرق والمغرب ، فظن السامع انه

الخليفة ، فلما كان اليوم التالي ، مات موسى بن نصير ، فصلى عليه سليمان بن عبد الملك ، ودفن ، رحمه الله ، في مسقط رأسه بوادي القرى[١٧] ، بعد حياة حافلة بالاحداث والمفاجآت ، ورحلة جال فيها المشرق والمغرب ، مخلفاً وراءه ذكريات لا تنقطع عن اعمال البطولة والفداء ، والقيادة العسكرية الواعية ، التي اكسبت الامة العربية الاسلامية قوة ومنعة ، وبناء شامخا من المجد والحضارة ، ما زالت آثاره قائمة الى يومنا هذا في المغرب العربي ، والاندلس ، تشهد على عظمة الانجاز الذي حققه القائد العربي المسلم موسى بن نصير .

هوامش الفصل الخامس

(١) الراوي ، الصبر والاقدام عند العرب ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) المقري : ١/٢٧٧ ؛ الامامة والسياسة : ٢/٦٨ ـ ٦٩

(٣) انظر : مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ١١٨ ؛ وقارن : العدوي ، موسى بن نصير ، ص ١٣٠ .

(٤) ابن حبيب ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢١٠ ؛ الرقيق ، ص ٨٢ ، ٨٨ ؛ وانظر ايضا :

The Chronicle of 754, pp. 148 — 149 (no. 40).

(٥) الامامة والسياسة : ٢/٦٨ .

(٦) المصدر نفسه : ٢/٦٨ ؛ وانظر : ابن عذاري : ٢/١٩

(٧) الامامة والسياسة : ٢/٦٩ ؛ وانظر : ابن الكردبوس ، ص ٥٠ ؛ ابن عذاري ؛ ٢/٢٠ ؛ المقري : ١/٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٨) الامامة والسياسة :٢/٧٥ .

(٩) المصدر نفسه : ٢/٧٠ ؛ وانظر : ابن عذاري : ١/٤٦ ، ٢/٢١ .

(١٠) انظر : خيري شيت شكر الجوادي ، الدولة العربية الاسلامية في عصر الخليفة سليمان بن عبد الملك ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، اعدت باشراف : د.عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٥٩ .

(١١) ابن القوطية ، ص ١٢؛ اخبار مجموعة ، ص ٢٣ .

(١٢) انظر : طه ، الفتح والاستقرار ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(١٣) اخبار مجموعة ، ص ٢٢ .

(١٤) الامامة والسياسة : ٢/٧٢ ـ ٧٣ ؛ وقارن : ابن كثير :

٩/ ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(١٥) الامامة والسياسة : ٢/ ٨٣ ـ ٨٤ ؛ وقارن : ابن عذاري : ٢١/٢ .

(١٦) الامامة والسياسة : ٢/ ٨٤ .

(١٧) قارن : ابن عبد الحكم ، ص ٢١٣ ؛ ابن خلكان : ٥/ ٣٢٩ ؛ ابن عذاري : ١/ ٤٦ ، ٢/ ٢٢ ؛ المقري : ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ؛ الإمامة والسياسة : ٢/ ٨٥ .

جريدة المصادر والمراجع

أ ـ المصادر الأولية :

* ابن الأبار ، ابو عبد الله محمد القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) .

١ ـ التكملة لكتاب الصلة ، قطعة نشرت باعتناء الاركون وكونثاليت بالنثيا ، مدريد ، ١٩١٥ .

* ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) .

٢ ـ الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .

* ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٤٥٧هـ/ ١١٨٣م) .

٣ ـ كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

* ابن بكار ، الزبير بن بكار بن عبد الله (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠م) .

٤ ـ الاخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي مكي العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ .

* البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

٥ ـ جغرافية الاندلس واوربا من كتاب «المسالك والممالك ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٦ ـ المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، نشر : دي سلان ، الجزائر ، ١٨٥٧ .

* البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٧ ـ فتوح البلدان ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٦٦ .

* ابن حبيب ، عبد الملك (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م) .

٨ ـ استفتاح الاندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد ٥ ، مدريد ، ١٩٥٧ .

* ابن حزم ، علي بن احمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

٩ ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

* الحميري ، محمد بن عبد الله (ت حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م) .

١٠ ـ صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب « الروض المعطار في خبر الاقطار» نشر : ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

* ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

١١ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ،

م ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م) .

١٢ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٥٦ ـ ١٩٦١ .

* ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

١٣ ـ وفيات الاعيان ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ، بدون تاريخ .

* ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م) .

١٤ ـ الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

* الرقيق القيرواني ، ابو اسحق ابراهيم (ت بعد ٤١٧ هـ/١٠٢٦م) .

١٥ ـ تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، تونس ، ١٩٦٨ .

* ابن سعيد المغربي وآخرون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

١٦ ـ المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

* ابن الشباط ، محمد بن علي بن محمد التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

١٧ ـ صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق : احمد مختار العبادي ،

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد ١٤ ، مدريد ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .

* الضبي ، احمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) .

١٨ ـ بغية الملتمس ، نشر : فرانسسكو كوديرا ، مدريد ،١٨٨٤ .

* الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .

١٩ ـ تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ .

* ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م) .

٢٠ ـ فتوح مصر واخبارها ، نشر : شارلسي توري ، نيوهيفن ، ١٩٢٢ .

* عبيد الله بن صالح ، عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) .

٢١ ـ نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، تحقيق، ليفي بروفنسال ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد ٢ ، مدريد ، ١٩٥٤ .

* ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد (كان حيا في ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) .

٢٢ ـ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، نشر : كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨ ، اعادت دار الثقافة نشره في بيروت .

* العذري ، احمد بن عمر بن انس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) .

٢٣ ـ نصوص عن الاندلس من كتاب «ترصيع الاخبار وتنويع الآثار» تحقيق : عبد العزيز الاهواني ، مدريد ، ١٩٦٥ .

● الغساني ، محمد بن عبد الوهاب (القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) .

٢٤ ـ رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، مخطوطة المكتبة الوطنية في مدريد ، رقم (٥٣٠٤) .

● ابن قتيبة (المنسوب) ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

٢٥ ـ كتاب الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .

● ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

٢٦ ـ تاريخ افتتاح الاندلس ، نشره وترجمه الى الاسبانية : خوليان رابيرا بعنوان :

Historia de la conquistas de Espana, Madrid, 1926.

● الكاتب ، عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٥هـ/٧٥٠م) .

٢٧ ـ رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد ، منشورة في كتاب «رسائل البلغاء» ، باعتناء : محمد كرد علي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

● ابن كثير ، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

٢٨ ـ البداية والنهاية ، اشراف مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر ، الرياض ، ١٩٦٦ .

● ابن الكردبوس ، عبد الملك بن الكردبوس التوزري

(ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م) .

٢٩ ـ الاكتفاء في اخبار الخلفاء/ القسم الخاص بتاريخ الاندلس ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد ، ١٣ ، مدريد ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ .

* الكندي ، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) .

٣٠ ـ كتاب الولاة والقضاة ، تهذيب : رخن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ .

* المالكي ، ابو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٥٢هـ/ ١٠٦١م) .

٣١ ـ رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ .

* مؤلف مجهول .

٣٢ ـ الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

* مؤلف مجهول .

٣٣ ـ اخبار مجموعة ، نشر : لافو نيتي القنطرة ، مدريد ، ١٨٦٧ .

* مؤلف مجهول .

٣٤ ـ الرسالة الشريفية ، نشرت ملحقا لكتاب ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس/طبعة مدريد ، وهي على ما يعتقد جزء من كتاب رحلة الوزير للغساني .

* مؤلف مجهول .

٣٥ ـ فتح الاندلس ، نشر : دون خواكين دي كونثاليث ،

الجزائر ، ١٨٨٩ .

* ابو المحاسن ، يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .

٣٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

* المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) .

٣٧ ـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، امستردام ، ١٩٦٨ .

* المقدسي ، شمس الدين محمد بن احمد المقدسي البشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) .

٣٨ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر : دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٦ .

* المقري ، احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦١٣م) .

٣٩ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ .

* النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) .

٤٠ ـ نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ . وطبعة جاسبار راميرو ، غرناطة ، ١٩١٧ ، ج ٢٢ .

* ياقوت ، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٦م) .

٤١ ـ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

* اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)

٤٢ ـ تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

ب ـ المراجع الثانوية :

* احمد ، نهلة شهاب .

٤٣ ـ المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع الفهري ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، اعدت باشراف د. عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ .

* الجنابي ، خالد جاسم .

٤٤ ـ تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، بغداد ، ١٩٨٤ .

* الجوادي ، خيري شيت شكر .

٤٥ ـ الدولة العربية الاسلامية في عصر الخليفة سليمان بن عبد الملك ، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ، اعدت باشراف د. عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ .

* ابو الحبيب ، القاضي سعدي .

٤٦ ـ مروان بن محمد واسباب سقوط الدولة الاموية ، دار لسان العرب ، بيروت ، بدون تاريخ .

* خطاب ، محمود شيت .

٤٧ ـ قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

* الراوي ، حازم عبد القهار .

٤٨ ـ الصبر والاقدام عند العرب ، مطبعة الراية ، بغداد ، ١٩٨٧ .

* زيتون ، محمد محمد .

٤٩ ـ الفتح الاسلامي لشمال افريقيا ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٦ ، ١٩٨١ .

* طه ، عبد الواحد ذنون .

٥٠ ـ تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ، مجلة المورد ، المجلد ١٧ ، العدد ١ ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٥١ ـ دراسات في التاريخ الاندلسي ، مطبعة الجامعة ، الموصل ، ١٩٨٧ .

٥٢ ـ الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، بغداد ـ ميلانو ، ١٩٨٢ .

* العارف ، حازم ابرهيم .

٥٣ ـ الجيش العربي الاسلامي في التخطيط السوقي للرسول (ص) والخلفاء الراشدين ـ نظرة عصرية ، الرياض ، ١٤٠٥هـ .

* العبادي ، احمد مختار ، وسالم السيد عبد العزيز .

٥٤ ـ تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

* العبادي ، احمد مختار .

٥٥ ـ دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، مطبعة المصري ؛ الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

* عبد الحميد ، سعد زغلول .

٥٦ ـ تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

* عبد الوهاب ، حسن حسني .

٥٧ ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٥ .

* العدوي ، ابراهيم احمد .

٥٨ ـ موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي ، سلسلة اعلام العرب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ

* عمر ، فاروق .

٥٩ ـ الخليفة المقاتل مروان بن محمد ، دار واسط للنشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .

* عنان ، محمد عبد الله .

٦٠ ـ دولة الاسلام في الاندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

* ابن قربة ، صالح .

٦١ ـ المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ .

* المطوي ، محمد العروسي .

٦٢ ـ سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٩٨١

* مؤنس ، حسين .

٦٣ ـ رواية جديدة عن فتح المسلمين للاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد ١٨ ، مدريد ، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

٦٤ ـ فتح العرب للمغرب ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٦٥ ـ فجر الاندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

* لقبال ، موسى .

٦٦ ـ المغرب الاسلامي ، الشـركة الوطنيـة للنشر والتوزيـع ، الجزائر ، ١٩٨١ .

ج ـ المراجع الاجنبية :

* Isidaro Pacense or :

* 67 — The Chonicle of 754

(ملحق رقم ٢ لكتاب اخبار مجموعة ص ١٤٦ ـ ١٦٢)

طبعة مدريد ، ١٨٦٧ .

* Garcia Domingues, Jose D.

68 — "Invasao e conquista de Lusitania pot Muca Ben Nocair e seu filho Abdalaziz", Congreso de Estudios Arabes e Islamicos, Actas, held, Cordoba, 1964, pp. 215 — 230.

* Livermore, H.V.

69 — The Origins of Spain and Portugal, London, 1971.

* O'Callaghan, Joseph. F,

70 — A History of Medieval Spain Ithaca and London, 1975.

* Madoz, Pascual,

71 — Diccionario geografica — estadistico histramar, historico de Espqnay sus Posesions de Ultramar, Madrid, 1848 — 50.

Saavedra, Eduardo,

72 — Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid.

Thompson, E. A,

73 — The Goths in Spain, Oxford, 1969.

الفهرست



الغلاف رياض عبد الكريم
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر دينار ونصف